



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشاذلي بن جديد الطارف



كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مطبوعة من أجل التأهيل الجامعي

محاضرات في الأنثروبولوجيا 1



مقدمة لطلبة السنة الأولى ماستر تخصص الأدب الشعبي

إعداد الباحثة: سهام سلطاني

دكتوراه في الأدب الشعبي والدراسات اللسانية

السنة الدراسية: 2026/2025

مقدمة

تعد الأنثروبولوجيا علما من العلوم التي لها مكانة كبيرة بين مختلف العلوم، وهذا نظرا لما تتفرد به من خصائص ومميزات، ولقد اتسعت مجالات البحث والدراسة في هذا الفرع الجديد من المعرفة، وتداخلت موضوعاته مع بعض العلوم الأخرى، كما تعددت تخصصاته، هذا إلى جانب تباين اتجاهاته النظرية والمنهجية، خاصة أن موضوع الدراسة الأساسي هو الإنسان في صوره الثقافية المختلفة، وأنماطه التفاعلية المتعددة، فلقد كان ولا يزال هذا الكائن الفريد موضوع التأمل والدراسة من قبل الكثير من العلوم الطبيعية والإنسانية على حد سواء.

فالأنثروبولوجيا هذا العلم الفتي الحامل لمشروع علمي متمثل في علم الإنسان، قد عرف تطورا كبيرا وملحوظا من حيث موضوع الدراسة والمنهج، وارتبطت الأنثروبولوجيا في سياق استكشاف الآخر وإيجاد قواعد لفهم هذا الآخر ببلورة إشكاليات وباراديكمات، ونظريات تعددت وتعاقبت بحسب السياقات التاريخية ودرجات التلاحق مع نتائج الدراسات الإنسانية والاجتماعية.

ومع تشعب أوصال هذا العلم وتنوع مشاريعه ضمت هذه المطبوعة أربعة عشرة محاضرة مقدمة لطلبة السنة الأولى ماستر تخصص أدب شعبي، وهي ممنهجة وموزعة بين مفردات مقياس الأنثروبولوجيا على الشكل الآتي:

- 1- علم الإنسان "الأنثروبولوجيا"
- 2- أصل الإنسان في ميثولوجيا الشعوب
- 3- الإنسان في ضوء العلم
- 4- التطورية الثقافية-الاجتماعية للإنسان
- 5- علم الإنسان "الأنثروبولوجيا" تطوره وعلاقاته بالعلوم الأخرى
- 6- تاريخ الأنثروبولوجيا
- 7- علاقتها بعلم النفس
- 8- علاقتها بعلوم التربية

9- الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا

10- في التعاريف

11- في التكوين والانتشار

12- في الاتجاهات النظرية لتطور الإنسان في القرن العشرين

13- الأنثروبولوجيا الطبيعية

14- الأنثروبولوجيا الاجتماعية

ولهذا سنضطلع من خلال هذه المواضيع المتنوعة التي تخص الأنثروبولوجيا للوقوف عند هذا المصطلح العلمي من الناحية التنظيرية والميدانية، وأهم التيارات والمدارس التي ساهمت في بلورة وصياغة الشكل العام للبحث الأنثروبولوجي، دون أن نهمل الأقطاب الذين حركوا هذا العلم بمختلف مدارسه وفروعه ونظرياته ومفاهيمه مع التطرق إلى علاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم المعرفية المختلفة.

ومن هنا حقا لنا أن نطرح جملة من الإشكالات التي تخص هذا النوع من العلوم المعرفية.

- ما هي الأنثروبولوجيا؟ وما طبيعتها؟ ما هي موضوعاتها الرئيسية وما هي أهم فروعها ؟
- وما هي أهم النظريات التي أبدعت في هذا المجال؟ وما هي أهم المدارس التي فعلت صيرورة البحث الأنثروبولوجي؟
- وما علاقتها بمختلف العلوم المعرفية؟

المحاضرة الأولى

علم الإنسان "الأنثروبولوجيا"

- تمهيد:

أولاً - الأنثروبولوجيا مفهومها اللغوي والاصطلاحي (Anthropologie)

أ - مفهومها اللغوي

ب - مفهومها الاصطلاحي

ثانياً - فروعها

1- الأنثروبولوجيا الاجتماعية

2- الأنثروبولوجيا الطبيعية (العضوية)

3- الأنثروبولوجيا الفيزيائية

4- الأنثروبولوجيا التطبيقية

5- الأنثروبولوجيا الثقافية

6- الأنثروبولوجيا الزراعية

7- الأنثروبولوجية التعليمية

ثالثاً - أهدافها

- تمهيد:

تعد الأنثروبولوجيا علما من العلوم الإنسانية التي لاقت رواجاً كبيراً أو شهرة واسعة، فمنذ قديم الزمان لاحظ الإنسان بصفة عامة الفروق القائمة بين شعوب الجنس البشري، واهتم بمعرفة الطبيعة الإنسانية وتفسير الاختلافات في الملامح الجسمية ولون البشرة والعادات والتقاليد، والديانات والفنون وغير ذلك من مظاهر الحياة.

ولهذا وجب علينا أولاً أن نقف عند التعريف اللغوي والاصطلاحي للأنثروبولوجيا حتى نتمكن من التعرف فيما بعد على موضوعاتها الأساسية.

أولاً- الأنثروبولوجيا: مفهومها اللغوي والاصطلاحي (Anthropologie)

يعد مصطلح الأنثروبولوجيا من المصطلحات الغامضة والمتشعبة الدلالة التي تستعصي على الفهم والإدراك، نظراً للغموض الشديد الذي يكتنفه، ولهذا فقد اختلف الباحثون والدارسون في تحديد مفهوم الأنثروبولوجيا، نظراً لتعدد مفاهيمها واتجاهاتها، فقد تجاذبت هذا المصطلح العديد من العلوم والمعارف كل حسب تخصصه وتوجهه المعرفي والعلمي.

أ- مفهومها اللغوي:

إن لفظة الأنثروبولوجيا هي كلمة إنجليزية مشتقة من الأصل اليوناني المكون من مقطعين: أنثروبوس (anthropos) ومعناه "الإنسان" ولوجوس (logos) ومعناه "علم"، وبذلك تصبح معنى الأنثروبولوجيا من حيث اللفظ علم الإنسان؛ أي العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظل ثقافة معينة، ويقوم بأعمال متعددة، ويسلك سلوكاً محدداً. وهو أيضاً العلم الذي يدرس الحياة البدائية والحياة الحديثة المعاصرة، ويحاول التنبؤ بمستقبل الإنسان معتمداً على تطوره عبر

التاريخ الإنساني الطويل، لذا يعتبر علم دراسة الإنسان علما متطورا يدرس الإنسان وسلوكه وأعماله.(1)

وبالتالي تعني كلمة الأنثروبولوجيا بمعناها الشامل علم دراسة الإنسان في مختلف مراحل حياته.

وهناك معنى فلسفي عام يذهب إلى تعريف الأنثروبولوجيا بأنها "علم وصفي للإنسان".(2) ومن خلال هذه التعريف نجد أن علم الأنثروبولوجيا يختص بدراسة الإنسان.

وقد استطاع العلامة الإنجليزي "هادوون" **Hadoon** أن يتتبع تاريخ استخدام هذا الاصطلاح إلى الحضارتين الإغريقية والرومانية، فقد لاحظ أن الفيلسوف الكبير "أرسطو" **Aresto** قد استخدم هذا الاصطلاح للإشارة إلى الشخص الذي يتحدث عن نفسه، ومن الواضح أن هذا المعنى يختلف تماما عن المعنى الحديث للاصطلاح، وفي عام 1501 ظهر هذا الاصطلاح كعنوان لكتاب للمفكر **handt** الذي تكلم فيه عن خصائص جسم الإنسان من الناحية التشريحية.(3)

وظهر هذا الاصطلاح أيضا في كتاب "**L'anthorpologia**" للمفكر "**COPELLA**"، في عام 1533، يدرس هذا الكتاب الصفات الشخصية الفردية، كما ظهر اصطلاح أنثروبولوجيا لأول مرة في اللغة الإنجليزية في عام 1655 في كتاب غير معروف وعنوان الكتاب "**Anthorpology abstracted**" وموضوعه الطبيعة البشرية، وقد انقسمت موضوعاته إلى قسمين رئيسيين أحدهما خاص بعلم النفس والثاني بعلم التشريح،

(1) ينظر: عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2004م، ص 12.

(2) مصطفى تلوين، مدخل عام في الأنثروبولوجيا، منشورات الاختلاف، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص 19.

(3) ينظر: عاطف وصفي، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت، ط3، 1981، ص 09.

وأخذ ينتشر استخدام هذا الاصطلاح تدريجيا إلى أن أصبح له مفهوما واضحا في القرن التاسع عشر الميلادي.⁽¹⁾

وبالرغم من قدم هذا المصطلح في تاريخ المعرفة الإنسانية إلا أن استعمال الأنثربولوجيا الفعلي بدأ مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حيث ازداد الاهتمام بهذا الحقل المعرفي في الأوساط العلمية، وبالأخص في الأوساط الثقافية الأنكلوساكسونية (بريطانيا وأمريكا)، وقد كان الاهتمام في هذه المرحلة منصبا على الأنثربولوجيا البيولوجية أو الفيزيائية.

ب - مفهوما الاصطلاح:

تعتبر الأنثربولوجيا علما من العلوم الإنسانية تهتم بمعرفة الإنسان معرفة كلية وشمولية، ولهذا تعددت التعريفات الاصطلاحية لهذا العلم المعرفي وارتبطت بتطورها التاريخي، ولهذا نجدها في القرن التاسع عشر كانت تطلق في مقابل الكسمولوجيا وهو علم الكون، وفي مقابل الثيولوجيا (علم الإلهيات)، ففي نهاية القرن التاسع عشر اهتمت الأنثربولوجيا بدراسة الأجناس والأعراف البشرية المختلفة من حيث أصلها (على سبيل المثال ما هو أصل الهنود الحمر) وتاريخها وحضارتها وقيمها، ومن أنصال هذا التعريف الطبيب والعالم الفرنسي بروكا **broca** *، والعالم الأنثربولوجي الفرنسي الآخر كاتروفاج ***quatrefoes**.

أما في عصرنا الحالي فإن الأنثربولوجيا ترتبط عادة بفكرة الأجناس والأعراف البشرية والإنسانية من حيث قيمها وثقافتها، ومن أشهر ممثلي هذا التعريف الأنثربولوجي الفرنسي "كلود ليفي شتراوس" **Claude levy strauss**. والذي ذهب إلى تعريفها بقوله إلى أن

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 10.

* بروكا: طبيب وعالم فرنسي، ولد عام 1824، وتوفي عام 1880.

* كاتروفاج: عالم أنثربولوجي فرنسي، ولد عام 1810، وتوفي عام 1892.

"أن الأنثربولوجيا تهدف إلى معرفة كلية وشمولية للإنسان في علاقته بامتداداته التاريخية ومحيطه الجغرافي" (1)

ويرى إدوارد تايلور أن الأنثربولوجيا هي "الدراسة البيوثقافية المقارنة للإنسان، إذ تحاول الكشف عن العلاقة بين المظاهر البيولوجية الموروثة للإنسان، وما يتلقاه من تعليم وتنشئة اجتماعية". (2)

وهذا يدل على أن الأنثربولوجيا تجمع بين الدراسة البيولوجية والثقافية للإنسان، مع وجد علاقة بين هذين الجانبين حيث تتأثر الجوانب البيولوجية وتؤثر في النواحي الثقافية من تعليم وتنشئة اجتماعية وطريقة تفكير ونمط سلوك.

وفي هذا الصدد تقول الباحثة "مارجريت ميد" Margret Mid نحن نصف الخصائص الأساسية البيولوجية والثقافية للنوع البشري عبر الأزمان وفي سائر الأماكن، ونحلل الصفات البيولوجية والثقافية المحلية كأنساق مترابطة ومتغيرة وذلك عن طريق نماذج ومقاييس متطورة، كما نهتم بوصف وتحليل النظم الاجتماعية والتكنولوجية، وتعنى أيضا ببحث الإدراك العقلي للإنسان وابتكاراته ومعتقداته ووسائل اتصالاته، وبصفة عامة نسعى نحن الأنثربولوجيين لربط وتفسير نتائج دراستنا في إطار نظريات التطور أو المفهوم الوحدة النفسية المشتركة بين البشر. (3)

من خلال هذا الوصف الذي قدمته مارجريت ميد يبدو أن الأنثربولوجيا هي أحد فروع الدراسة التي تهتم بوصف الإنسان في جانبه البيولوجي من جهة والاجتماعي والثقافي من جهة ثانية، مع اعتبار عمليات التفاعل التي تحدث بين هذين الجانبين.

(1) مصطفى تيلوين، مدخل عام في الأنثربولوجيا، ص 21، 22.

(2) عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثربولوجيا)، ص 13.

(3) ينظر: حسين فهم، قصة الأنثربولوجيا، عالم المعرفة، الكويت، دط، دت، ص 14.

ويقول "ج مانتشيب هوايت" j.mantcheb hwait في كتابه "علم الإنسان" "إننا في استخدامنا لتعبير علم الإنسان لا نقصد دراسة الإنسان بقدر ما نقصد دراسة الإنسان البدائي وهذا يعني دراسة المجتمعات الفطرية ذلك أن دراسة الإنسان المتطور المعقد لمجتمعاتنا المتحضرة بالمعنى الحضري لهذه الكلمة، ليست من مهمة عالم الإنسان بل من مهمة عالم الاجتماع"⁽¹⁾

وتعرف أيضا بأنها علم الإناسة، ذلك "العلم الذي يدرس الإنسان كمخلوق ينتمي إلى العالم الحيواني من جهة، ومن جهة أخرى أنه الوحيد من الأنواع الحيوانية كلها، الذي يصنع الثقافة ويبدعها".⁽²⁾

وهو كذلك العلم الذي يدرس الحياة البدائية، والحياة الحديثة المعاصرة، ويحاول التنبؤ بمستقبل الإنسان، ويدرس سلوك الإنسان وأعماله.

إن فالأنثروبولوجيا تدرس الإنسان في مختلف المراحل سواء أكانت قديمة أو حديثة.

كما تعرف الأنثروبولوجيا بصورة مختصرة وشاملة بأنها علم دراسة الإنسان طبيعياً واجتماعياً وحضارياً، أي أن الأنثروبولوجيا لا تدرس الإنسان ككائن وحيد بذاته، أو منعزل عن أبناء جنسه، إنما تدرسه بوصفه كائناً اجتماعياً بطبعه يحيا في مجتمع معين له ميزاته الخاصة في مكان وزمان معين.⁽³⁾

وهي كذلك علم من العلوم الإنسانية يهتم بدراسة الإنسان من حيث (قيم جمالية، دينية، أخلاقية، اقتصادية، وثقافية، واجتماعية) ومكتسباته الثقافية، ومعرفة الإنسان معرفة كلية وشمولية.

(1) حسن شحاتة سغفان، علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، منشورات مكتبة العرفان، بيروت، دط، 1966، ص 03.

(2) المرجع نفسه، ص 14.

(3) ينظر: عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، ص 14.

وتعرف أيضا بأنها علم الإناسة العلم الذي يدرس الإنسان كمخلوق ينتمي إلى العالم الحيواني من جهة ومن جهة أخرى أنه الوحيد من الأنواع الحيوانية كلها الذي يصنع الثقافة ويبدعها. (1)

فيما ذهب راوخ إلى تحديد موضوع الأنثربولوجيا بقوله: "موضوع الأنثربولوجيا هو دراسة المؤثرات الخارجية التي يخضع لها العقل، والتغيرات التي تم فيه بمقتضاها". (2)

إن الموضوع الرئيسي للأنثربولوجيا يتمثل في تحديد القوانين العامة لحياة الإنسان في المجتمع سواء عند الشعوب البدائية أو الشعوب الحديثة والمعاصرة، وتختلف موضوعات الأنثربولوجيا باختلاف المدارس والاتجاهات التي تنوعت اختلفت باختلاف المدارس والتيارات التي تمثلها.

ثانيا - فروعها:

تعتبر الأنثربولوجيا دراسة الإنسان بشكل عام، وهناك عدة أنواع للأنثربولوجيا من بينها: الأنثربولوجيا الطبيعية بمعنى دراسة الإنسان في مظهره البيولوجي، والأنثربولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهناك كذلك الأنثربولوجيا الزراعية وأنثربولوجيا الاتصال..إلخ. ولقد اختلف الباحثون والدارسون في تحديد فروعها، فكل واحد قسمها حسب رأيه:

1-الأنثربولوجيا الاجتماعية: (3)

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 14.

(2) إيكه هولتكراس، قاموس مصطلحات، ترجمة: محمد الجوهري وحسن الشامي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط2، دت ص 49، 50.

(3) محمد الجوهري، علياء شكري، مقدمة في دراسة الأنثربولوجيا، القاهرة، دط، 2007، ص29.

تعرف الأنثربولوجيا الاجتماعية على أنها "دراسة مجموع البناء الاجتماعي، لأي جماعة أو مجتمع، بما يحويه هذا البناء من علاقات وجماعات وتنظيمات، ومن هنا تقترب العلاقة بين الأنثربولوجيا وعلم الاجتماع".

فهي دراسة السلوك الاجتماعي في المجتمع الإنساني الذي يتخذه في العادة شكل نظم اجتماعية كالعائلة، ونسق القرابة والتنظيم السياسي، والإجراءات القانونية والعبادات الدينية، كما تدرس العلاقة بين هذه النظم المختلفة.

2- الأنثربولوجيا الطبيعية (العضوية):

تعتبر الأنثربولوجيا الطبيعية من أقدم فروع الأنثربولوجيا وأعتقها، فهي تعنى بدراسة الإنسان من حيث تكوينه الجسدي ومراحل تطور بنيته البيولوجية والمورفولوجية، فقد اهتمت بدراسة أعضاء الجسم، إذن فهي تدرس الإنسان ومراحل تطوره البيولوجي والمورفولوجي.⁽¹⁾

وهي دراسة السلالة (العنصر) والبيولوجيا البشرية، كان ينظر في بعض الأحيان في أواخر القرن التاسع عشر إلى الانتولوجيا والأنثربولوجيا الطبيعية كمصطلحين متبادلين، يستخدم الواحد منهما محل الآخر.

وتعرف بوجه عام بأنها العلم الذي يبحث في شكل الإنسان من حيث سماته العضوية، والتغيرات التي تطرأ عليها بفعل الموروثات، كما يبحث في السلالات الإنسانية من حيث الأنواع البشرية وخصائصها بمعزل عن ثقافة كل منها، وهذا يعني أن الأنثربولوجيا العضوية تتركز حول دراسة الإنسان الفرد بوصفه نتاجاً لعملية عضوية، ومن ثم دراسة التجمعات البشرية السكانية وتحليل خصائصها.⁽²⁾

(1) ينظر: محمد سعيد، الأنثربولوجيا مفهومها وفروعها واتجاهاتها، دار الخلدونية، دط، 2013م، ص 47.

(2) ينظر: أزهرى مصطفى صادق، الأنثربولوجيا الطبيعية والثقافية، (علم الإنسان الطبيعي والثقافي)، مجلة أثر، جامعة الملك سعود، كلية السياحة والآثار، عدد 1433، ص 08.

إن فالأنثربولوجيا الطبيعية تبحث في لون البشرة، والقامة وغيرها من السمات، كما تبحث في السلالات الإنسانية منذ ظهور الإنسان البدائي ومقارنته عبر الأجيال والعصور، كما تدرس أوج الاختلاف والتشابه بين البشر في مختلف الأنحاء.

وسنفضل الحديث حول هذين النوعين من الأنثربولوجيا في المحاضرات اللاحقة بإذن الله تعالى.

3-الأنثربولوجيا الفيزيكية:

هي ذلك العلم الذي يدرس الجوانب الفيزيكية للإنسان، فهي تدرس تركيبه الجسماني والتطورات التي مر بها إلى أن حصل على صورته الحالية، وكذلك بيولوجيا، وهي في ذلك تهتم بدراسة أسباب التنوع واتجاهات التغير في كل من الأفراد والجماعات سواء في الماضي أو الحاضر وأسباب التباين البيولوجي بين البشر ترجع الاختلافات الوراثية والتعديلات البيئية للإمكانات الوراثية.⁽¹⁾

فهي العلم الذي يهتم بتركيب جسم الإنسان والتطورات التي تحدث معه حتى يصل إلى الصورة الحالية.

وعلى ذلك فهي "العلم الذي يدرس أصول وتطور الإنسان، وتعتبر إحدى الفروع الهامة من الأنثربولوجيا".⁽²⁾، فهي تحاول أن تجيب على بعض المعلومات المتعلقة بطبيعة الإنسان مثل ما هو الإنسان؟ كيف أصبح كذلك، وللإجابة على مثل هذه الأسئلة يعتمد علماء الأنثربولوجيا الفيزيكية على كل من العلوم البيولوجية والاجتماعية والإنسانية.

(1) ينظر: هندومة محمد أنور حامد، الأنثربولوجيا الفيزيكية، مكتبة طريق العلم، دار المعرفة الجامعية، مصر، دط، 2011م، ص 17.

(2) المرجع نفسه، ص 17.

فالأنثربولوجيا الفيزيقية علم يجيب على بعض الأسئلة المتعلقة بالإنسان إذن فهي مجال في الأنثربولوجيا يحاول أن يبحث في أصل الإنسان، باعتباره نوعا ينتمي إلى الجنس، والبحث في الطبيعة، وفي مفهوم التطور والأسباب والعلل التي تتحكم في الاختلافات البيولوجية عند الإنسان ومقارنته بالأنواع الأخرى التي يتناولها هذا الفرع.⁽¹⁾

4-الأنثربولوجيا التطبيقية:

هي التطبيق العملي للنظريات والنتائج الأثنولوجية (الأنثربولوجية الثقافية، الأنثربولوجيا الاجتماعية... إلخ) في الإدارة والتعليم والخدمة العسكرية والخدمة في المستعمرات والتخطيط والتنظيم الصناعي والتجاري.⁽²⁾

فالأنثربولوجيا التطبيقية تقوم على تطبيق النظريات في المؤسسات وموضوعاتها تطبيق النظريات الأنثربولوجيا ومن ثم تطبيق نتائج هذه النظريات من خلال ما يسمى بالبحث الأنثربولوجي للتحكم في المجتمعات وإدارتها بشكل نموذجي سواء سياسيا أو ثقافيا أو عسكريا.⁽³⁾، إذن فهي تعنى بتطبيق المناهج والمعارف.

5-الأنثربولوجيا الثقافية:

قبل الحديث عن الأنثربولوجيا الثقافية لابد من الوقوف عند مصطلح الثقافة باعتباره أساس الأنثربولوجيا الثقافية.

يعد مفهوم الثقافة من المفاهيم الواسعة الحدود من حيث الدلالة، لهذا تعددت تعريفاتها من باحث إلى آخر، ومن بين التعريفات الأكثر شيوعا وانتشارا نجد تعريف عالم الأنثربولوجيا البريطاني "إدوارد بورنت تايلور" **Edward Taylor** والذي قدمه في أواخر

(1) ينظر: مصطفى تيلوين، مدخل عام في الأنثربولوجيا، ص 30.

(2) ينظر: ايكة هولتكراس، قاموس مصطلحات، ص 54.

(3) ينظر: مصطفى تيلوين، مدخل عام في الأنثربولوجيا، ص 22.

القرن التاسع عشر في كتابه "الثقافة البدائية" *la primitive culture* سنة 1871 م، وذهب فيه إلى أن الثقافة "هي ذلك الكل المركب الذي يشمل على المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون، العادات والتقاليد، الدين واللغة وجميع العناصر التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا في مجتمعه".⁽¹⁾

يرى تايلور أن الثقافة تعبر عن مختلف مناحي الحياة الاجتماعية للإنسان وتتميز ببعدها الجماعي، والثقافة في نهاية الأمر مكتسبة وبالتالي فهي لا تنشأ عن الوراثة البيولوجية.

أما "فرانس بواس" *Franz Boas* فيعرفها بقوله: "الثقافة تتضمن كل مظاهر العادات الاجتماعية في المجتمع المحلي واستجابات الأفراد نتيجة لعادات الجماعات التي يعيشون فيها"⁽²⁾

كما نجد تعريف "بندكت روث" *Bendict Rooth* والذي يتفق مع التعريفات السابقة للثقافة، فهي تعرف الثقافة "بأنها ذلك الكل المركب الذي يشمل العادات التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع"⁽³⁾، فالثقافة هي مجموع العادات التي يكتسبها الإنسان في محيطه الاجتماعي.

كما يرى رالف لينتون "أن ثقافة المجتمع هي طريقة حياة أفراد، وهي مجموعة الأفكار والعادات التي تعلموها وساهموا فيها ثم نقلوها من جيل إلى آخر"⁽⁴⁾

(1) يحي مرسى بدر، أصول علم الإنسان الأنثروبولوجيا، دار الوفاء، ج1، ط1، 2007، ص 352

(2) طارق محمد السويديان، فضيل عمر باشراحيل، صناعة الثقافة، الإبداع الفكري، الكويت، ط3، 1432هـ/2010، ص 29

(3) بندكت روث، ألوان من ثقافات الشعوب، ترجمة: عمر الدسوقي وآخرون، القاهرة، دط، 1959، ص 130

(4) هارلمبس وهولبورن، سوسيولوجيا الثقافة والهوية، ترجمة: حاتم حميد محسن، دار كيوان، دمشق، سوريا، ط1، 2010، ص 08

فالثقافة تنتقل من جيل لآخر وتتوارث، وهي نتيجة أفكار متراكمة على مر السنين، وتكتسب إما عن طريق التعلم، وإما عن طريق التفاعل وهي متغيرة حسب حاجة كل فرد وكل عصر.

ومن هنا تعرف الأنثروبولوجيا الثقافية - بوجه عام - بأنها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع له ثقافة معينة، فهي ذلك العلم الذي يهتم بدراسة الثقافة الإنسانية، ويعنى بدراسة أساليب حياة الإنسان وسلوكاته النابعة من ثقافته، وهي تدرس الشعوب القديمة، كما تدرس الشعوب المعاصرة.⁽¹⁾

إذن فالأنثروبولوجيا الثقافية تهتم بثقافة الإنسان داخل مجتمعه منذ ظهوره إلى الإنسان المعاصر.

هي دراسة الثقافة (البشرية)، أو هي ذلك الفرع من الأنثروبولوجيا الذي يهتم بالثقافة والمواد الثقافية، والأنثروبولوجيا الثقافية هي المقابل الأمريكي للإثنولوجيا الأوروبية، وتشتمل على الإثنولوجرافيا والإثنولوجيا، واستخدم مصطلح الأنثروبولوجيا الثقافية ليعنى تحليل الثقافة وعلم النفس الثقافي.⁽²⁾

فهذا التعريف يؤكد التعريف الأول بأنها تدرس الثقافة.

فالأنثروبولوجيا الثقافية تدرس أصول المجتمعات والثقافات الإنسانية وتاريخها، وتتبع نموها وتطورها، وتدرس بناء الثقافات البشرية وأدائها لوظائفها في كل مكان وزمان، فهي تهتم بالثقافة في ذاتها، سواء كانت ثقافة أسلافنا أبناء العصر

(1) ينظر: عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، ص 123.

(2) ينظر: إيكه هولتكراش، قاموس مصطلحات، ص 56.

الحجري، أو ثقافة أبناء المجتمعات الحضرية المعاصرة.⁽¹⁾ كما تعنى كذلك بأصول المجتمعات وتاريخها منذ نشأتها.

ومن هنا تعنى الأنثربولوجيا الثقافية بدراسة ثقافة الشعوب بمظاهرها المادية والمعنوية وتشخيص السلوكات الناتجة عن تصرفاتهم، فهي تهتم بدراسة العادات والتقاليد والمعتقدات، وتهتم كذلك بالإيديولوجيات التي تحكم بالمجتمعات، وبالأعمال الإبداعية وعلى رأسها الأعمال الفنية وكذلك بالرموز كالأساطير.

إنّ فهي تهتم بثقافة الشعوب وكل ما يتصل بهم من عادات وتقاليد ومعتقدات وأساطير... إلخ

فالأنثربولوجيا الثقافية إذن تهدف إلى فهم الظواهر الثقافية وتحديد عناصرها ومميزاتها، بالإضافة إلى التغير والتمازج الثقافي، وتحديد الخصائص المتشابهة بين الثقافات، وتفسر بالتالي المراحل التطورية لثقافة معينة في مجتمع معين.

كما تهتم بالكشف "عن البقايا المادية للحياة الاجتماعية المندثرة أو البائدة، كما تهتم بالوقوف على ثقافة الإنسان الحاضرة.

إنّ فهي تريد الوصول إلى فهم الظاهرة الثقافية وعناصرها.

فالأنثربولوجيا الثقافية "تدرس الإنسان من حيث منتجاته ومقتنياته المادية والفكرية"⁽²⁾، ويمكن أن تكون دراسة الأنثربولوجيا الثقافية ذات جانبين: الجانب الأول هو الدراسة المتزامنة أو في زمن واحد أي دراسة المجتمعات والثقافات في

(1) ينظر: محمد الجوهري، علياء شكري، مقدمة في دراسة الأنثربولوجيا، ص 35.

(2) هندومة محمد أنور، الأنثربولوجيا الفيزيقية، ص 17.

نقطة معينة من تاريخها، والجانب الآخر هو الدراسة التتبعية أو التاريخية أي دراسة المجتمعات والثقافات عبر التاريخ.⁽¹⁾

فالأنثربولوجيا الثقافية لها جانبين: الأول تدرس فيه المجتمع والثقافة في زمن واحد، أما الثاني فتدرس المجتمع والثقافة منذ الظهور وتطوره عبر التاريخ.

لم تظهر الأنثربولوجيا كفرع مستقل عن الأنثربولوجيا العامة إلا في القرن التاسع عشر، ويعود الفضل للعالم الإنجليزي إدوارد بورنت تايلور، حيث قدم أول تعريف شامل للثقافة سنة 1871م في كتابه "الثقافة البدائية"، كما يعتبر فرانس بواس من الرواد الأوائل للأنثربولوجيا.

إن فالأنثربولوجيا الثقافية ظهرت في القرن 19م بفضل إدوارد تايلور لتعريفه الشامل للثقافة، ولا ننسى كذلك بواس الذي اعتبر من الرواد الأوائل للأنثربولوجيا، من خلال كتابه "الفن البدائي" سنة 1927م، حيث أعتبر هذا التاريخ هو تاريخ ظهور ونشأة الأنثربولوجيا الثقافية.

6- الأنثربولوجيا الزراعية:

أما الأنثربولوجيا الزراعية فقد استهل "روبرت أي راودر" Roert ay Rawdez دراسته في هذا القطاع بالحديث عن أهمية الزراعة وموقعها المحوري في حياة البشر لجهة تداخلها معه، وتأثيرها في مجمل الجوانب الثقافية، والتكنولوجية، والاقتصادية والمجتمعية، والدينية، وبناء على ذلك يعرف راودز علم الأنثربولوجيا الزراعية بأنها "الأنثربولوجيا المعنية بدراسة العنصر البشري في النظام الزراعي الشامل بمرحلة كافة من الإنتاج إلى الاستهلاك إلى نظم

(1) ينظر: محمد الجوهري، علياء شكري، الأنثربولوجيا الاجتماعية، ص 19، 20.

الثقافة الرمزية. ومن أصول الزراعة إلى التطورات المستقبلية".⁽¹⁾

7- الأنثربولوجية التعليمية:

تعتبر الأنثربولوجيا التربوية اليوم مجالا معرفيا مهما في التعليم، إذ تتميز بالتنوع والتعددية، وهي تدخل في إنتاج المعرفة اللازمة في التعليم، فالمعرفة الأنثربولوجية بشكل عام هي بالضرورة معرفة متعددة ومتغيرة. "وتعمل الأنثربولوجية التربوية وفق سياق مزدوج من التاريخ والثقافة، فهي من جانب تعمل من أجل كشف المعرفة، ومن جانب آخر تعمل من أجل أولئك الذين يعتمدون على المعرفة التي يتم إنتاجها ضمن سياق معين"⁽²⁾

أصبحت الأنثربولوجيا التربوية تعرف بالأنثربولوجيا التاريخية والحضارية للتعليم، والتي تأخذ بعين الاعتبار البعدين الثقافي والتاريخي للباحث وغرضه من البحث، وتهدف الأنثربولوجيا التربوية من جانب لنقد الأوهام المتعلقة بقوة أو ضعف التعليم، ومن جانب آخر للكشف عن التوتر القائم بين احتمالية الكمال البشري، وصعوبة التير البشري، وبالتالي استعراض احتماليات التعليم ومحدداته، وتؤدي هذه الوظائف إلى تركيز معين على الإبداعات البشرية، والتي بدورها تركز على فحص وكشف المحددات البيولوجية والاجتماعية والحضارية لعملية التطور البشري.⁽³⁾

لا يمكن حصر الأنثربولوجيا في هذه الأنواع فقط بل هناك عدة أنواع أخرى للأنثربولوجيا لا بد من الاطلاع عليها والاستفادة منها.

(1) ساتس كيديا وجون فان ويلجن، الأنثربولوجيا التطبيقية، ترجمة: هناء خليف غني، دط، دت، ج3، موقع أنثربوس

www.ar.anthropos.com / 3

(2) كريستوف فولف، أنثربولوجيا التعليم، ترجمة: موفق علي السقار، دار المناهج للنشر والتوزيع، دط، دت، ص 10.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص 11.

ثالثاً-أهدافها:

من خلال ما تقدم من تعريفات للأنثربولوجيا، فإن داستها تحقق الكثير من الأهداف يمكن حصرها كالتالي:⁽¹⁾

- وصف مظاهر الحياة البشرية والحضارية وصفا دقيقا، وذلك عن طريق معايشة الباحث المجموعة أو الجماعة المدروسة، وتسجيل كل ما يقوم به أفرادها من سلوكيات في تعاملهم في الحياة اليومية.
- تصنيف مظاهر الحياة البشرية والحضارية بعد دراستها دراسة واقعية، وذلك للوصول إلى أنماط إنسانية عامة، في سياق الترتيب التطوري الحضاري العام للإنسان: (بدائي، زراعي صناعي، معرفي، تكنولوجي).
- تحديد أصول التغير الذي يحدث للإنسان وأسباب هذا التغير وعملياته بدقة علمية، وذلك بالرجوع إلى التراث الإنساني وربطه بالحاضر من خلال المقارنة، وإيجاد عناصر التغير المختلفة.
- استنتاج المؤشرات والتوقعات الاتجاه التغير المحتمل، في الظواهر الإنسانية الحضارية المدروسة والتصور بالتالي لإمكانية التنبؤ بمستقبل الجماعة البشرية التي أجريت عليها الدراسة.
- يعنى الهدف الأول أن الباحث عندما يقوم بتتبع ووصف حياة جماعة ما وكأنه يعيش تلك الجماعة.
- أما الهدف الثاني وبعد الدراسة الواقعية يقوم الباحث بتصنيف مظاهر الحياة.
- أما الهدف الثالث فيتتبع الباحث الجماعة في الماضي وما حدث لهم من تغيرات، وأسباب هذه التغيرات في الحاضر والمقارنة بينهما.
- أما الهدف الرابع فهو استنتاج لمستقبل هذه الجماعة وتصور لحياتهم بعد الدراسة.

(1) ينظر: إيكه هولتكراس، قاموس مصطلحات، ص 06.

وتأسيسا على ما تقدم ذكره، فإن الأنثروبولوجيا هي العلم الذي يدرس الإنسان، في الماضي والحاضر، وكما يدرس أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بينه وبين الكائنات الحية الأخرى وكذلك بين أخيه الإنسان، لكي يفهم هذه الكيانات الهائلة والمعقدة من الثقافات عبر التاريخ، وفي الوقت ذاته تدرس السلوك الإنساني ضمن الإطار الثقافي والاجتماعي بوجه عام، فلا تهتم بالإنسان الفرد وإنما تهتم بالإنسان الذي يعيش في جماعات وأجناس وتدرس الناس في أحداثهم وأفعالهم.

المحاضرة الثانية

أصل الإنسان في ميثولوجيا الشعوب

- تمهيد

أولاً- أصل الإنسان في ميثولوجيا الشعوب القديمة

- 1- أصل الإنسان في الميثولوجيا الفرعونية
- 2- أصل الإنسان في الميثولوجية السومرية
- 3- أصل الإنسان في الميثولوجيا البابلية
- 4- أصل الإنسان في الميثولوجيا اليونانية والرومانية

- تمهيد:

يعد موضوع أصل الإنسان من المواضيع المهمة التي حظيت باهتمام كبير من قبل الباحثين والدارسين في مجالات وتخصصات عدة في العلوم الإنسانية من علم اجتماع ونفس..إلخ، وهذا للبحث والتقصي في هذا الموضوع الأزلي في محاولة لاستجلاء غامضه والبحث في أصوله لإدراك مواطن استقراره وجذوره. وقد تباينت أفكار العلماء والفلاسفة حول أصل الإنسان ونشأته.

ولهذا فقد حيكت حول أصل الإنسان العديد من القصص والأساطير في ميثولوجيا الشعوب القديمة، والتي راحت تفسر أصل نشوءه بعدة تفسيرات مختلفة تبرر وجوده في هذا الكون.

ولعل هذا الموضوع يستوقفنا لنطرح عدة إشكالات من بينها:

- كيف فسرت الشعوب القديمة مسألة خلق الإنسان ومجيئه إلى الكون؟ وما هي أهم الأدلة والبراهين التي قدمتها تلك الشعوب في موضوع خلقه ومجيئه؟
- أولاً- أصل الإنسان في ميثولوجيا الشعوب القديمة:

من الواضح والمتعارف عليه أن الاهتمام بالإنسان منذ نشأته وتطوره كما توضحها أفكار المجتمعات أو الشعوب القديمة لا تمثل بدايات هذا الفكر، بل لعل الإنسان بدأ يتعجب من نفسه منذ أن ظهر على سطح المعمورة (الأرض)، وبدأ يشق طريقه للسيطرة على الأرض ويحقق لنفسه السيادة المطلقة، وقصة الإنسان الذي وجد آثاراً أقدم أراد أن يتتبعها ليعرف صاحبها، وانتهى به الأمر إلى أن يدرك أنها أقدمه هو في الواقع رمز لمدى ما يجهله الإنسان عن نفسه وعن الوقع المجهول لديه، ورغبته المتأصلة في استكشاف هذا المجهول بالتقصي والمغامرة والبحث والدراسة.

1- أصل الإنسان في الميثولوجيا الفرعونية (المصرية):

إن سعي الإنسان الدائم والحثيث إلى فهم أصل وجوده في الكون دفع به إلى طرح العديد من التساؤلات للكشف عن سر وجوده في هذا الكون، وهذا الأمر الذي أدى إلى تفكير الإنسان المصري القديم إلى معرفة جوهر المخلوقات، وتفسير المظاهر الطبيعية المختلفة المحيطة به من حوله وكشف كيفية وجودها ونشأتها في الحياة، والوصول إلى تفكير في مشكلة أعم وأشمل كانت بالنسبة إليه الشغل الشاغل ألا وهي مشكلة الخلق ونشأة الكون المحيط به.

لقد مرت فكرة نشأة الإنسان عند المصريين القدماء بعدة مراحل يبدو أن أولها كان الاعتقاد بأن الإنسان هو سليل الآلهة، وفي حوالي بداية الألف الثانية قبل الميلاد ساد الميثولوجيا المصرية أن الإنسان قد نشأ من دموع الإله "رع" وبعد ذلك أصبح الاعتقاد أن الإله "آمون" يشكل الناس واحدا بعد الآخر من الطين، كل هذه المعتقدات البائدة شكلت التفكير الأولي للمصري البدائي.

تعد أرض مصر الفرعونية من أقدم أراضي العالم التي فلسف فيها الإنسان عملية الخلق والموت. بنى الفراعنة حضارة فريدة من نوعها علمية واجتماعية وثقافية وسياسية واقتصادية، وقد شكل فيها الدين عنصرا أساسيا في حياة المصريين القدماء. كان الدين بالنسبة للمصريين القدماء أساس كل فعل في الحياة، وهو المؤطر لفلسفة خلودهم بعد الموت، ومن أهم التجارب البشرية لفهم تكوين الكون والإنسان.⁽¹⁾

ويعتبر الدين في مصر القديمة من أهم التجارب البشرية لفهم تكوين نشأة الكون والإنسان.

حينما ننقل إلى قصة الخلق نجدها تختلف شيئا ما عما ورد في الديانات الإبراهيمية، وقد في الكثير من الأساطير المصرية والقصص المقدسة التي كان يؤمن بها المصريون،

(1) ينظر: عبد المجيد طعمام، أسطورة الخلق سفر في الميثولوجيا، تعاونية زيري للطباعة والنشر، وجدة، دط، 2023، ص

وهي تتميز بعمقها الفلسفي، وتضم شخصيات متعددة منها الآلهة ومنها أنصاف الآلهة، بينما وجود البشر في هذه الأساطير كان يأتي كمكمل للقصة دون أن يؤثر في توجهها العام.

تعددت أساطير الخلق الفرعونية وتنوعت حسب المناطق والمدن، وهي تعكس في مضمونها العظمة والثراء والتنوع الذي ساد التصور المصري القديم للوجود بصفة عامة والحضارة المصرية بصفة خاصة.

عندما تقوم بقراءة أسطورة الخلق الفرعونية تكشف أنها أكثر تعقيدا بالمقارنة مع الأساطير السابقة واللاحقة، ما يجعلها متفردة، إنها تتميز بعمق كبير في تحديدها للمبادئ الأساسية للحياة والطبيعة والمجتمع. وتعكس بالتالي طبيعة الحياة في تلك الفترة المعاشة، ولكن على الرغم من تنوعها فإنها تتفق حول نشأة العالم من الفوضى أو العدم.⁽¹⁾

تم سرد أساطير الخلق الفرعونية في الكتابات الهيروغليفية المنحوتة على الأهرامات المصرية والمقابر والمعابد وأوراق البردي التي كانت تكتب على أوراق سعف النخيل وهي تعكس عظمة الفكر المصري القديم، الذي لم يترك هذا الإرث يمض بصمت إنما خلده بطريقته الخاصة.

تتمثل قصة الخلق في أسطورة الإله "نون" والآلهة "نوت" من بين أشهر أساطير الخلق المصرية، في البداية كان الإله نون /الأرض والآلهة نوت/ السماء متلاحمين ومتلاصقين، ثم فصلهما إله الهواء، انفصلت السماء عن الأرض وظهر إله الشمس رع الذي يسافر عبر السماء ليعيد الحياة إلى البشر بعد ظلام الليل الذي كان يساوي الموت.

إلى غيرها من القصص التي حيك حول عملية الخلق، والتي تؤصل كيفية خلق الإنسان في التصور المصري القديم.

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 47.

2- أصل الإنسان في الميثولوجية السومرية:

نشأت الحضارة السومرية في المنطقة التي تقع قبالة مصب نهري دجلة والفرات، ما يعرف الآن بجنوب العراق، تأسست في منطقة الرافدين بين نهري دجلة والفرات قبل الميلاد بحوالي 4000 سنة واستمرت إلى حوالي 2000 ق.م، نضجت تصوراتهم حول إشكالية الخلق، وصاغوا تصوراتهم الوجودية وسجلوها على الألواح الطينية على شكل قصائد وملاحم أشهرها "ملحمة جلجامش" وهي تعد أحد أشهر النصوص الأدبية السومرية وواحدة من أقدم الأعمال الأدبية في التاريخ الإنساني.⁽¹⁾

تروي هذه الملحمة قصة جلجامش ملك مدينة أوروك السومرية ومغامراته الملحمية الشهيرة من خلال رحلته للبحث عن الخلود والحياة الأبدية.

وقد عالجت هذه الملحمة قضايا إنسانية عامة، مثل فكرة الخلود والموت، وحال الإنسان بعد الموت، والخلود، ومثلت تمثيلا بارعا مؤثرا ذلك الصراع الأزلي بين الموت والفناء المقدرين، وبين إرادة الإنسان المغلوبة المقهورة في محاولتها التشبث بالوجود والبقاء، والسعي وراء وسيلة الخلود، والموضوع الأساسي الذي شغلت به الملحمة هو البرهان على حتمية الموت، على البشر، حتى بالنسبة إلى بطل مثل جلجامش الذي ثلثاه من مادة الآلهة الخالدة وثلثه الباقي من مادة البشر الفانية، لأن الآلهة كما في الملحمة قد استأثرت بالحياة وقدرت الموت من نصيب البشرية.⁽²⁾

كان السومريون يؤمنون بتعدد الآلهة مثل باقي الشعوب القديمة البدائية؛ لكن البداية كانت بتقديس الآلهة الأنثى التي كانت تسمى "تمو" إنها آلهة المياه منها انبثقت الحياة وأصبح لكل شيء معنى ووجود في هذا الكون الذي يبعث على التأمل والاستفسار. كما جعل السومريون من الماء جوهر الخالق والمخلوق على هذا الكون.

(1) ينظر: عبد المجيد طعام، أسطورة الخلق سفر في الميثولوجيا، ص 17، 18.

(2) ينظر: الحسيني الحسيني معدي، الأساطير السومرية، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2012، ص 213.

أنجبت آلهة المياه نمو ابنا ذكرا يحمل اسم "آن" ومنه ستخلق السماء ثم أنجبت الإله الأنثى واسمها "كي" ومنه ستخلق الأرض ثم أنجبا إلها يحمل اسم "أنليل" وهو إله الهواء.

بعد استكمال عملية خلق الكون وإنشاء جميع المكونات الأساسية التي تتشكل منها الحياة أحست الآلهة بالتعب والإرهاق الشديد، كانت عملية الخلق كما تبدو عليه شاقة ومتعبة احتاجوا إلى من يسهر على خدمتهم ورعايتهم، احتاجوا إلى من يقدم لهم القرابين والهدايا، وواجب العبادة والطاعة، وهكذا بدأت الآلهة تفكر بجدية في خلق إنسان يحمل عنها كل الأعباء التي لم تعد قادرة على حملها في الحياة.⁽¹⁾

تقول الأسطورة أن الآلهة بدأت تشعر بالتعب، فقد وجدوا أنهم تحولوا إلى عبيد الأرض التي صنعوها، وأن الحمل قد صار ثقيلًا، فاجتمعوا وقرروا أن يذهبوا إلى أنكي إله الماء والحكمة، ليشتكوا له، وليخلق لهم خدما يقومون مقامهم في حرث وسقي الأرض ورعي الماشية. وبعد أن فكر إنكي قرر القيام بخلق كائن لا إلهي يقوم مقام الخادم للآلهة، ثم أخذ يعلم نمو كيفية خلق هذا الكائن، "امزجي الصلصال لب الطين الموجود في مياه الأبسو العميقة، التي أقيم فيها وسأدعوا الصناع الإلهيين المهرة ليكشفوا الطين ويعجنوه، أما أنت فعليك أن توجدي له الأعضاء، وستعمل الآلهة نتمناخ معك يدا بيد، وستقف ربات الولادة الثماني إلى جانبك لكي يتكون ويولد من الطين، قدري مصيره يا زماء وستطبع عليه نتمناخ صورة الآلهة، يكون شبيها بنا في خلقه لكي يكون قريبًا منا في العمل والراحة ولكي لا يشعر بأنه غريب تمامًا عنا وسيكون هذا المخلوق هو الإنسان".⁽²⁾

ولمحت بعض النصوص الأسطورية الخاصة بخلق الإنسان في الديانة السومرية إلى خلق الإنسان بطريق تشبه زرع البذور في الأرض، ولهذا قدست الأرض في معظم الديانات القديمة، وفسر ظهور البشر على الأرض نتيجة هذا الزرع.

(1) ينظر: عبد المجيد طعام، أسطورة الخلق سفر في الميثولوجيا، ص 21.

(2) الحسيني الحسيني معدى، الأساطير السومرية، ص 194.

وفي الأخير يمكن القول أن الأساطير السومرية تتحدث عن خلق الإنسان، وتؤكد على وجود عنصر أساسي في عملية الخلق وهو الطين.

3- أصل الإنسان في الميثولوجيا البابلية:

بعد أن تم خلق الكون من طرف "أسبو وتايمات"، وبعد الصراع الدامي والمميت بين الآلهة، الذي انتهى بإسقاط الإله الأنثى وتنصيب الإله الذكر وهنا نلاحظ تحول السلطة من الأنثوية إلى السلطة الذكورية، وبعد أن تم خلق الإنسان احتقلت الآلهة بمردوخ الذي بادر بتشييد بابل وجعلها عاصمة العراق القديم، ثم أمر الإنسان بتدميرها وبناء وتشييد معبد ضخم بعبد فيه، وتقدم له فيه القرابين للتقرب منه وإرضاءه، وتخليد ذكرى انتصاره على الفوضى. وتشكيل أول إنسان امتزجت فيه دماء الآلهة بالطين.

وتعتبر ملحمة "الأينوما إيليش" من أجمل النصوص الأدبية القديمة في الميثولوجيا البابلية، وهي إلى جانب ملحمة جلجامش وملحمة هوميروس أبدع ما أنتج إنسان الحضارات القديمة من أدب يبرز امتزاج جمالية الإبداع مع أصالة الفن، فإلى جانب الصياغة الشعرية الجميلة، تتمتع الملحمة بحبكة روائية فذة، وهي في مجموعها أشبه بسيمفونية موسيقية مؤلفة من أربع حركات.⁽¹⁾

ومن هنا كان للحضارة البابلية دور كبير في تفسير نشأة الإنسان على هذا الكون.

4- أصل الإنسان في الميثولوجيا اليونانية والرومانية:

من الديانات الوثنية القديمة الديانتين اليونانية والرومانية، وقد تأثرت هذه الديانات في بادئ الأمر بالمعتقدات الدينية الماثلة في جزيرة كريت، في بحر إيجه والتي كانت تعرف بالديانة المينوية وهي عبارة عن معتقدات وأساطير جمعت من الحضارات القديمة المختلفة.

(1) ينظر: فراس السواح، مغامرة العقل الأولى، دار الكلمة، لبنان، ط1، 1988، ص 96، 97.

وقد جاء الرومان بعد اليونان وحلوا محلهم بعد سقوط دولتهم سنة 146 قبل الميلاد، ولم يطرأ أي تغيير على الديانة الرومانية فقد حملت معتقدات اليونان وآلهتهم باستثناء بعض التغييرات في أسماء الآلهة وبعض مؤثرات الأسرة الحاكمة الرومانية.

ويؤمن الرومانيون على غرار اليونانيون بأن جايا هي الأم الخالقة وجوبيتر هو الإله الذي خلق البشر.

ومن هنا نجد أن الأساطير والحكايات التي حيكت حول عملية نشأة خلق الإنسان قد تعددت واختلفت، فكل حضارة نسجت على مخيلتها كيفية خلق الإنسان في تلك الفترة، وصاغت عدة إشكالات وتفسيرات حولت من خلالها تفسير النشأة الأولى للإنسان.

المحاضرة الثالثة

الإنسان في ضوء العلم

- تمهيد

أولاً- الإنسان في ضوء العلم بين الوهم والحقيقة

- تمهيد:

ساهمت الدراسات الأنثروبولوجية بشكل فعال في وضع منهج للإنسان للسير على خطاه وإزالة اللبس والغموض عنها بشكل كبير، إذ صارت بمثابة جسر تمر عليه حياة الإنسان، بحيث شكلت رصيده المعرفي وذلك بتشابكها وتداخلها مع عدة علوم ولاشتقاق فروع معرفية أخرى تعنى بظاهرة معينة تهم الكيان الإنساني.

ورغم كشف هذا العلم عن العديد من الحقائق التي تخص الإنسان من جميع جوانبه، إلا أن البحث في شأن الإنسان أمر ليس بالهين بل بحاجة إلى المزيد من التنقيب والبحث.

ولهذا تمحورت الدراسات الأنثروبولوجية حول دراسة الإنسان من ناحية التطور والأصول، وبدراسة البقايا من الهياكل العظمية للبشر في المراحل الأولى من الحياة من الماضي إلى الحاضر وكل ما يخص الثقافة الإنسانية.

ولما كان الإنسان من الناحية الأنثروبولوجية هو كائن يرتبط عضويا بمجموعة الرئيسات والتي تضم القردة العليا والثدييات، لذلك فقد سعى الأنثربولوجيون للبحث في أصول هذا الكائن في العديد من المناطق التي انتشر فيها في الماضي البعيد، ونجح الباحثون في التوصل إلى إيجاد أشكال مختلفة للإنسان.

إن الأنثربولوجيا كشفت عن أقبية مهمة وغامضة في حياة الإنسان كانت تنتظر الإفصاح عن ملابساتها.

أولاً- الإنسان في ضوء العلم بين الوهم والحقيقة:

ندخل هنا بالأنثربولوجيا إلى فصل هام أو حقبة من تاريخها، ففيها برزت الحاجة إلى علم شامل لدراسة الإنسان علم لا يكتفي بدراسة ناحية واحدة أو مظهر واحد من نواحي مظاهر حياته، أو يقتصر اهتمامه على دراسة تكوينه الفيزيقي فحسب، ويحيط بكل

خصائصه ومقوماته البيولوجية والاجتماعية والثقافية سواء في الماضي أو الماضي القريب أو في الوقت الحاضر.

إن طفرة القرن التاسع عشر العلمية والمعرفية وما صاحبها من تقدم تقني صاحب أو رافق جميع مجالات الحياة، تطلب أيضا تحولا فلسفيا وتغييرا في ذهن الإنسان الحديث فيما يخص اتجاهاته وميولاته ومعتقداته، وفي هذا الصدد يذكر براون "أنه قد جرت العادة خلال العصور الأقدم عهدا أن تتدرج الأبحاث الفلسفية مبتدئة من معطيات مجردة فشكل تطورها جزءا من تراث فكري رفيع، وظلت بعيدة عن العالم مترفعة عنه شأنها في ذلك شأن إنسان هذا العصر الذي رأى في نفسه مخلوقا فوق غيره من المخلوقات وكائنا في العالم، لكنه ليس منه".⁽¹⁾

ولهذا اعتبر القرن التاسع عشر أول قرون العصر العلمي، إذ أن المفكرين والعلماء لم يتقبلوا فكرة وحدانية نظام الطبيعة فحسب؛ بل ما لبثوا أن تقبلوا كذلك الحقيقة القائلة بأن الإنسان نفسه يشكل جزءا في ذلك النظام ويخضع لسننه وحدوده التي يسير عليها بامتثال.

وواكب ذلك نهوض علمي كبير نتج عنه دراسات وكتابات واستنبطات واستنتاجات عن شؤون الطبيعة وانتظامها في هذا العالم، ففي مجال الدراسات الأنثربولوجية انشغل الباحثون والدارسون بمسألة تفسير ظاهرة تلك الحفريات وشظايا العظام القديمة التي اكتشفت لأشكال كائنات حية عضوية كانت قد تواجدت خلال حقبة زمنية سحيقة ثم انقرضت. ومحاولة استنباط المراحل أو الأشكال العضوية الأولية التي مرت بها هذه الكائنات الحية.

إلا أنه تجدر الإشارة في هذا الصدد إلى العام السويدي "كارل فون" Carl Phone لدراسته الصلة القائمة بين بني الإنسان والقردة العليا الأمر الذي جعله يخرج مصطلح الإنسان العاقل، ومع أنه لاحظ اختلافات واضحة بالفصائل الحيوانية، وبالرغم من وجود فرضيات عن احتمال وجود عملية تطورية إلا أنه لم يستطع هو وغيره من علماء ذلك الوقت

(1) حسين فهم، قصة الأنثربولوجيا، ص 91.

أن يوضحوا كيفية التي حدث بها هذا التطور، إلى أن جاء عالم الحيوان الفرنسي "جان لامارك" J Lamarck الذي سبق تشارلز داروين Tcharlez Darwen في طرحه للفكرة القائلة بأن التغيرات في أشكال الكائنات تفسر في إطار محاولات التكيف مع التغيرات في البيئة.(1)

ولهذا يعد الكتاب الشهير لعالم الطبيعة والأحياء تشارلز داروين ثورة علمية وفكرية جد مهمة في تاريخ الإنسانية، تأثرت به دراسات الإنسان والمجتمع على حد سواء، وقد نشره في عام 1858 بعنوان "أصل الأنواع وتطورها".

وفي إطار هذه النظرية تراءى لداروين أن الإنسان لابد وأن يكون قد بقى طوال تاريخه العضوي خاضعا لنفس الشيء الذي خضعت له جميع الكائنات الحية، وبعد أن نشر داروين كتابه أصل الأنواع، وقبل الطبيعيون نظريته في جملتها فكر في أن يطبق هذه النظرية على الإنسان. فانكب على العلوم التي قد جمعها والحقائق التي كان قد توصل إليها يرتبها ويوازي بينها ويستخلص منها النتائج التي يثبت بها أن الإنسان قد نشأ من صورة دنيا هي أقرب إلى القردة العليا منها إلى أية صورة أخرى من صور الحيوانات الأخرى. وليس معنى هذا أن الإنسان ينحدر أصلا من القردة العليا ولكنه يشترك معها في أسلاف بعيدة تنتمي إلى رتبة الرئيسيات.(2)

ومن الجدير بالذكر أيضا أنه خلال النصف الأول من القرن التاسع ارتبطت الأنثربولوجيا بكليات الطب الجامعية أكثر من غيرها، وكان الاهتمام موجها بصفة عامة إلى دراسة الاختلافات الجسمية بالسلالات البشرية.

ولهذا ازدهرت الدراسات المتعلقة بالأنثربولوجيا على اعتبار أن الإنسان بؤرة اهتمام هذه الدراسات.

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 92.

(2) ينظر: حسين فهم، قصة الأنثربولوجيا، ص 95.

المحاضرة الرابعة

التطورية الثقافية-الاجتماعية

للإنسان

- تمهيد

أولاً- نظرية التطور الثقافي

1- إدوارد تايلور

2- لويس هنري مورغان

- تمهيد:

منذ أن ظهرت الأنثربولوجيا كعلما مستقلا بذاته برزت العديد من الاتجاهات والنظريات التي توصل لهذا العلم وتوثت لمصطلحاته ومبادئه، ومن بين هذه النظريات نظرية التطور الثقافي للمجتمعات الإنسانية في مجال البيولوجيا ملهما حقيقيا للأنثربولوجيين وقد ساهم في إرساء دعائمها العالم "تشارلز داروين" Tcharlez Darween، الذي تناول الثقافة والمجتمع بنظرة تطورية.

على الرغم من أن النظريات الأنثربولوجية في تطور الثقافة نالت دعما قويا بنشر أصل الأنواع لدارون فيتحتم علينا أن نعرف أن مفاهيم التطور الثقافي التي هيمنت على التفكير الأنثربولوجي في القرن التاسع عشر لم تكن نتيجة مباشرة للآراء الدارونية، فقد كان فلاسفة التنوير ولاسيما توركو وكوندورورسيه المصادر الرئيسة لكثير من الآراء التي كونت نظرية التطور الثقافي.⁽¹⁾

وقد اعتقدوا أن تاريخ البشر يمكن أن يوصف بالارتقاء من البدايات البسيطة إلى حضارتنا المعقدة وأوضحوا مراحل مفترضة ارتقت خلالها الثقافة البشرية بدءا بالخلقة والهبوط والطوفان، يلي ذلك تنظيم الإنسان في مجموعات صغيرة من الصيادين وجامعي القوت، ثم التطور الرعوي واختراع الزراعة وفكرة الملكية الخاصة، ونمو القرى وتقسيم العمل ومن ثم إلى الحضارة الحديثة.⁽²⁾

أولا- نظرية التطور الثقافي:

تقوم نظرية التطور الثقافي على مبدأ أنه لا يمكن فهم العقل الإنساني، إلا بربطه بالتاريخ الذي يمكن من خلاله فقط فهم الحياة الإنسانية بأكملها، والوصول إلى القوانين التي

(1) ينظر: بيرتي ج بيلتو، دراسة الأنثربولوجيا المفهوم والتاريخ، ترجمة: كاظم سعد الدين، عالم الحكمة، العراق، بغداد، ط1، 2010، ص 40.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص 40، 41.

تحكم مسارها، فتاريخ البشر واحد على أساس وحدة الفكر الإنساني، أما التمايز أو التباين بين الثقافات المختلفة فهو وليد ظروف تاريخية معينة أنتجه المجتمع البشري، فالمجتمعات قد اعتبرت على الدوام بمثابة وجود متواصل متجانس مؤلف من طبقات تطويرية وأقسام موازية، يسير فيها التطور حتما في خط مستقيم، ولا بد من جميع المجتمعات أن تمر بها.

ويقوم جوهر نظرية التطور على الافتراض بأن تاريخ الجنس البشري قد عرف شكلا موحدا في نشأته، وفي تجربته، وفي تقدمه، وأن اختلاف درجات هذا الشكل هي في حقيقة الأمر درجات للتطور ذاته، بحيث تكون كل درجة وليدة سابقتها ومساهمة في تشكل تاريخ ما بعدها، أي المستقبل.⁽¹⁾

وقد برز رائدان مؤسسان لنظرية التطور الثقافي هما:

1- إدوارد تايلور:

إن هذه التجربة الإنسانية الواحدة، تقوم على افتراض وجود وحدة سيكولوجية يشترك فيها الناس جميعا على اختلاف ثقافتهم، وفي هذا الإطار نشر إدوارد تايلور كتابه "بحوث في التاريخ المبكر للجنس البشري" 1865، وعرض فيه نظريته عن التطور الثقافي للمجتمعات الإنسانية التي تستند إلى فكرة التقدم الإطرادي للشعوب والثقافات، وانتقالها من حالة الهمجية أو البدائية التي رآها متمثلة في المجتمعات غير الغربية حينذاك، إلى حالة التحضر والمدنية المماثلة لأوضاع الثقافة والمجتمع الأوروبي في عصره، وقد استخدم تايلور مفهوم الرواسب المستمدة من الدراسات العضوية والأثرية، ليكشف بها عن الرواسب الثقافية عند الشعوب، الأمر الذي يساعده على وضعها في مرحلة معينة من مراحل التقدم.⁽²⁾

(1) ينظر: حسين فهمي، قصة الأنثروبولوجيا (فصول في تاريخ علم الإنسان)، عالم المعرفة، دط، 1986، ص 104.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص 104، 105.

وتقوم فكرة الرواسب على أساس أن بعض سمات المجتمعات المعاصرة تمثل متخلفات أو رواسب للأشكال الأولية.

ومن الجدير بالذكر أيضا أنه بالرغم من تركيز تايلور على دراسة "الثقافة البدائية" إلا أن فهمه للأنثروبولوجيا قد تضمن الدعوة إلى دراسة كل أنواع الثقافات بدائية كانت أم متحضرة.

ونود الإشارة هنا بجانب تايلور وفريزر في أوربا إلى الأمريكي "لويس مورجان" الذي قدم لنا نظرية لتطور الثقافات الإنسانية من حيث انتقالها من حالة الوحشية التي قسمها إلى مرحلة دنيا، وأخرى متوسطة وثالثة عليا إلى حالة أرقى نسبيا أطلق عليها لفظ البربرية، والتي رأى أنها تطورت أيضا خلال ثلاث مراحل مشابهة للشكل الأول للحياة الإنسانية أي الوحشية أما عن المرحلة الثالثة والأخيرة فهي مرحلة الحضارة، وأدخل مورجان بعض المقاييس والمعايير المادية التي استطاع على أساسها أن يضع هذا التقسيم أو التصنيف وبهذا يعتبر كل من تايلور ومورجان من الرواد الأوائل في بلورة النظرية التطورية.⁽¹⁾

3- لويس هنري مورغان:

يعد لويس هنري مورغان Louis Henri Morgan (1818-1881) مؤسس الأنثروبولوجيا الأمريكية، وقد اهتم مورغان بدراسة مجموعات من الهنود الحمر ولاسيما قبائل أوركويس في أمريكا الشمالية واكتشف بعض الاصطلاحات الغربية المستعملة في الإشارة إلى القرابة، وكان يؤمن بارتقاء الإنسان نحو الأفضل وقد اختير مديرا للمكتب الأمريكي للأنثروبولوجيا وخلفه في منصبه ذلك صديقة جون ويسلي، بوويل بعد موته.⁽²⁾

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 105.

(2) ينظر: بيرتي ج بيلتو، دراسة الأنثروبولوجيا المفهوم والتاريخ، ص 41.

ونرى أنه إذا كان الفضل يرجع إلى تايلور في وضع أصول دراسة علم الثقافة عامة، فإن مورجان قد بدأت دراسات القرابة التي أصبحت منذ ذلك الوقت، وحتى الآن من أهم الموضوعات الأنثربولوجية.

المحاضرة الخامسة

علم الإنسان "الأنثروبولوجيا"

(تطوره وعلاقته بالعلوم الأخرى)

أولاً - علاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم الأخرى

- تمهيد

1- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الاجتماع

2- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم التاريخ

3- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الفلسفة

4- علاقة الأنثروبولوجيا باللسانيات

5- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الأحياء / البيولوجيا

6- علاقة الأنثروبولوجيا بعلمي الجيولوجيا والجغرافيا

- خاتمة

أولاً- علاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم الأخرى:

- تمهيد:

تعد الأنثروبولوجيا علماً فتياً بحاجة إلى المزيد من التنقيب والبحث، وبما أنها تدرس كعلم مستقل بذاته، يختص بالإنسان من حيث نشأته وتطوره وثقافته، فما زال الكثير من العلماء، ولاسيماً علماء الإنسان يختلفون حول تصنيف هذا العلم بين العلوم المختلفة، فيرى بعضهم أنه يتقاطع مع العديد من العلوم الاجتماعية، كعلم النفس والاجتماع والتاريخ والسياسة. ويرى بعضهم أيضاً أنه من العلوم التطبيقية، كالرياضيات والطب والفلك. بينما يرى بعضهم الآخر أنه من العلوم الإنسانية، كالفلسفة والفنون والديانات.

ولهذا سنحاول من خلال هذه المحاضرة الكشف عن علاقة الأنثروبولوجيا بجملة من العلوم المعرفية من بينها علم الاجتماع وعلم النفس وعلم الفلسفة واللسانيات، بالإضافة إلى علم الأحياء وعلمي الجيولوجيا والجغرافيا.

1- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الاجتماع:

يعد مصطلح "علم الاجتماع" من أهم العلوم الاجتماعية مشتق من كلمتين، الأولى هي (سوسيو **Sociu**) اللاتينية، وتعني رفيق أو مجتمع. والثانية (لوغوس **Logos**) اليونانية، وتعني العلم أو البحث.⁽¹⁾

ثمّة تداخلاً كبيراً بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، فكلاهما يدرس البناء الاجتماعي والوظائف الاجتماعية.

يعدّ علم الاجتماع من أحدث العلوم الإنسانية لذلك، يعرف بأنه "العلم الذي يدرس الحياة الاجتماعية بجميع مظاهرها، ويتحرى أسباب الحوادث الاجتماعية وقوانين تطورها".⁽²⁾

ويعرف كذلك على أنه "أحد العلوم الإنسانية الهامة التي ظهرت في أواخر القرن التاسع

(1) ينظر: عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، ص 47.

(2) المرجع نفسه، ص 47.

عشر، وهو من العلوم التي تحاول الوصول إلى قوانين وقواعد تفسّر الظواهر الاجتماعية، سواء كانت هذه الظواهر في شكل جماعات بشرية، أو نظم ومؤسسات اجتماعية أو إنسانية. وهو بالتالي، العلم الذي يساعد في تكيف الفرد والمجتمع للعيش معاً، ضمن أهداف معينة يسعون إلى تحقيقها، من أجل التقدّم والاستمرارية".⁽¹⁾

فعلم الاجتماع إذن، يدرس العلاقات بين الأفراد وعمليات التفاعل فيما بينهم، وتصرفاتهم كأعضاء مكوّنين لهذه الجماعة.

وهكذا نجد أنّ ثمة تداخل كبير على المستويين النظري والعلمي بين علمي الاجتماع والأنثروبولوجيا، فكلاهما يدرس الإنسان من عدة جوانب. وتتجاوز العلاقة بينهما إلى حدود الترابط بينهما من حيث المعلومات التي يهدف كلّ منهما الحصول عليها، إلى منهجية البحث من حيث طريقة عرضه وأسلوب البحث.

فعلم الاجتماع يركّز في دراساته على المشكلات الاجتماعية داخل المجتمع الواحد، كما يدرس الطبقات الاجتماعية في هذا المجتمع أو ذاك من المجتمعات الحديثة، بينما تركّز الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) في دراساتها، على المجتمعات البدائية الأولية بالإضافة إلى المجتمعات المتحضّرة.

2- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم التاريخ:

يعد علم التاريخ من العلوم المعرفية المهمة في التاريخ الإنساني، نظراً لما يكتنزه هذا العلم الجليل من حقائق معرفية علمية.

وينصب التاريخ على حياة الإنسان الماضية، وعلى حياة الأفراد والشعوب والأمم والحضارات المتعاقبة، عبر عصور انقضت إلى الأبد، ولن تسترجع على نفس الشاكلة أبداً، لذلك كان التاريخ حقيقة تجري في عروق الإنسان فلا يستطيع أن يتنكر له أو التصل منه،

(1) المرجع السابق، ص 47.

لأن الماضي الذي هو أهم عنصر في التاريخ حاضر في ذات الإنسان الحاضر يستحضره في كل دقيقة حين يحل لديه سؤال الحاضر والمستقبل.⁽¹⁾

ويقدم ابن خلدون تصوره عن التاريخ الذي لا يقتصر على جماعة معينة من المجتمع تتميز عن غيرها بل؛ هو «فن من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال وتشد إليه الركائب والرحال وتسمو إلى معرفته السوق والأغفال وتتنافس فيه الملوك والأقبال، وتتساوى في فهمه العلماء والجهال؛ إذ هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى تسمو فيها الأقوال وتضرب فيها الأمثال...»⁽²⁾

والتاريخ أيضا يعني محاولة الإنسان وصف الماضي وتفسيره، كما قال باراكلاف **Baraklaf** "المحاولة التي تبذل للكشف عن الأشياء المهمة في الماضي على أساس من شواهد جزئية ماضية، وهذا هو التاريخ الذي نعيه عندما نتحدث عن التاريخ كضرورة اجتماعية، أو عن التاريخ كصناعة"⁽³⁾

بحيث أثارت علاقة التاريخ بالأنثربولوجيا جدلا عنيفا بين الأنثربولوجيين أنفسهم حيث انقسموا إزاءها إلى فريقين اثنين:

- فريق يعتبر علاقة التاريخ بالأنثربولوجيا علاقة معرفية مفيدة ومثمرة وفريق آخر يعتبر علاقة التاريخ بالأنثربولوجيا علاقة عميقة تتنافى والطرح الأنثربولوجي، وبين القبول والرفض وبين اعتراف وتكرار. صنعت هذه العلاقة التاريخية الأنثربولوجية لنفسها كيانا معرفيا وإيديولوجيا متميزا، ويظهر ذلك جليا في خطابات ودراسات بعض الأنثربولوجيين الذين اعتمدوا المنهج التاريخي في مقاربتهم لبعض الظواهر الاجتماعية والثقافية

(1) ينظر: عبد الله العروي، مفهوم التاريخ (الألفاظ والمذاهب، المفاهيم والأصول)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2005، ص 362

(2) عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 15

(3) حسين مؤنس، التاريخ والمؤرخون (دراسة في علم التاريخ)، دار الرشاد، القاهرة، ط 2، 2001، ص 38.

والعقائدية.(1)

- والواقع أن التزام الاتجاه التاريخي في التفسير الأنثروبولوجي اتجاه أصيل فيما يعرف بالتفكير الأنثروبولوجي بوجه خاص، فإن تاييلور الذي يعتبره الكثير من الأنثروبولوجيين الأب الروحي للأنثروبولوجيا يرى أن هناك منهجين متميزين في تفسير حقائق الثقافة، وأول هذين المنهجين هو المنهج التاريخي الذي يفسر نظاما معيناً أو كلا معقداً من النظم عن طريق رسم مراحل التغير نحو التقدم خلال عملية التطور التي يمر بها ذلك النظام مع المحاولة بقدر الإمكان للوصول إلى معرفة الأسباب أو الظروف التي ساعدت على حدوث ذلك التغير.(2)

إن اهتمام الباحث الأنثروبولوجي بالتاريخ وتوظيف منهجيته وتقنياته البحثية في مقارنته للموضوع الاجتماعي أو الثقافي أو الاقتصادي أو الديني .

وعلى هذا الأساس فإن المعرفتين الأنثروبولوجية والتاريخية تشكلان قوة معرفية مهمة في كتابة تاريخ ثقافات الشعوب وتاريخ نظمها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والعقائدية.

3-علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الفلسفة:

تعود كلمة (فلسفة) إلى الأصل اليوناني المكوّن من مقطعين: (فيلو PHILO + سوفيا SOPHY) أي فيلوسوفيا PHILOSOPHY، وتعني: (حبّ الحكمة) أو محبة الحكمة، ولكن على الرغم من أصلها الاشتقاقي، فقد اتخذت عند أرسطو معنى أكثر دقة وشمولاً، حيث عرّفها بأنّها: "علم المعنى الأكثر شمولاً لكلمة علم". ويشرح ذلك بقوله: "الفلسفة هي علم المبادئ والأسباب الأولى، غايتها البحث عن الحقيقة برمّتها، وبأكثر أساليب الفكر نظاماً وتماسكاً".(3)

(1) ينظر: سعيد محمد، الأنثروبولوجيا مفهومها وفروعها واتجاهاتها، ص 30.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص 30.

(3) عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، ص 49.

أي أنّها علم الوجود بما هو موجود، أو الفكر في جوهر وجوده، فهي إذن تعتمد على منهج محدد يحتكم إلى مبادئ العقل.

وإذا كانت الفلسفة (أم العلوم) كما هو معترف به، بالنظر لشمولية دراستها مجموعة من العلوم الرياضية والإنسانية والفيزيائية، فإن صلة الأنثروبولوجيا بها وثيقة جداً، ولا سيّما فيما يتعلّق بنظرة الإنسان إلى الكون والحياة، في زمان ما أو مكان محدّد. وذلك لأنّ الزمان والمكان مرتبطان بعلاقة جدلية، لا يمكن إدراك مكوّناتها إلّا من خلال دراسة الفعل الإنساني، الذي يسعى إلى البقاء والاستمرار.⁽¹⁾

فدراسة أصل الإنسان من حيث وجوده ونشأته وسعيه إلى الدائم والحثيث إلى البقاء والخلود، كلّها تقع في ميدان الدراسات الأنثروبولوجية، ولا سيّما تلك العلاقة الأزلية بين طبيعة الإنسان، وواقعه وما يطمح إليه من آمال وأهداف، تؤمّن سيرورة حياته وما يطمح إليه مستقبلاً.

4- علاقة الأنثروبولوجيا باللسانيات:

أصبحت استعانة الأنثروبولوجيا باللسانيات ضرورة معرفية ومنهجية ملحة وذلك لما قد يجده الباحث الأنثروبولوجي في الدراسات اللسانية من أدوات وتقنيات مفيدة له والتي تشكل محطة أساسية لا بد من المرور عبرها من أجل اقتحام البناء الاجتماعي والثقافي والعائدي للشعوب، فاللغة هي جزء مهم من ثقافة أي شعب وميوله واتجاهاته الفكرية العامة بل هي تقيس تطوره الفكري والاجتماعي.⁽²⁾

فاللغة تفتح المجال المعرفي والمنهجي للبحث الأنثروبولوجي الجديد وذلك بما قد تعطيه من آليات مفيدة تمكنه من مقارنة موضوعه مقارنة علمية دقيقة، خاصة وأنها في السنوات الأخيرة عرفت تطورات كبيرة وأنتجت نظريات ومفاهيم جديدة في مجال الصوتيات وعلم

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 50.

(2) ينظر: سعيد محمد، الأنثروبولوجيا مفهومها وفروعها واتجاهاتها، ص 25.

الدلالة والسميائيات والأنظمة الاتصالية والتواصلية.⁽¹⁾

وخير مثال على ذلك تلك الدراسات الرائدة التي أنجزها الباحث الأنثروبولوجي الشهير كلود ليفي شتراوس حول القرابة حيث سخر علم الصوتيات كما حدده علماء الصوتيات أمثال ترويزكوي وجاكسون.

تشكل اللغة في حد ذاتها موضوعا خصبا للدراسات الأنثروبولوجية التي اهتمت بها ونوعت في موضوعاتها ومقارباتها فلقد اهتمت بدراسة اللهجات المحلية ولغات الأقليات ولغات الحرفيين ولغات الشرائح الاجتماعية والثقافية والسياسية.

5- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الأحياء / البيولوجيا Biology:

يتناول علم الأحياء دراسة الكائنات الحيّة من وحيد الخلية الأبسط تركيباً، وحتى كثير الخلايا والأكثر تعقيداً. ولذلك يعرف بأنه: "العلم الذي يدرس الإنسان كفرد قائم بذاته، من حيث بنية أعضائه وتطورها".⁽²⁾

ويرتبط علم الأحياء بالعلوم الطبيعية، ولا سيّما علم وظائف الأعضاء والتشريح وحياة الكائن الحي. وتدخل في ذلك، نظرية التطور التي تقول بأن أجسام أجناس الكائنات الحيّة وأنواعها ووظائف أعضائها، تتغير باستمرار ما دامت هذه الكائنات تتكاثر وتنتج أجيالاً جديدة ، قد تكون أرقى من الأجيال السابقة، كما هي الحال عند الإنسان، كما تستند هذه النظرية إلى أنّ الإنسان بدأ كائناً حياً بخلية واحدة، تكاثرت في إطار بنيته العامة، إلى أن انتهى إلى ما هو عليه الآن من التطور العقلي والنفسي والاجتماعي. وهذا ما دلّت عليه بقايا عظام الكائنات الحيّة المكتشفة في الحفريات الأثرية.⁽³⁾

فالأنثروبولوجيا، من الناحية النظرية، شديدة القرب من البيولوجيا؛ فكلاهما يدرس عملية

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 25.

(2) عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، ص 44.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص 44، 45.

إعادة إنتاج الحياة، وكلاهما مبني على نموذج نظري للتنوع، وكلّ في تخصّصه.

ويحظى تحليل التنوع في العلمين، بدور حيوي: التنوع الجيني في علم (البيولوجيا) والتنوع الاجتماعي في (الأنثروبولوجيا)، فالتنوع أمر أساسي لما تسمّيه البيولوجيا "الفاعلية البيولوجية" وهي القدرة على مواصلة الحياة، وإخلاف الذرية. والأمر ذاته نجده في الأنثروبولوجيا فيما يطلق عليه: إشباع الحاجات الأساسية.⁽¹⁾

يعدّ / دارون / رائد علم الأحياء، الذي استند فيه إلى نظرية (النشوء والارتقاء) في حياة الإنسان، والتي قدّم لها تفسيراً منهجياً معقولاً.

واستناداً إلى المبادئ التي قدّمها دارون مؤسس علم الأحياء في أصل الكائنات الحيّة وتطوّرها، وصولاً إلى وضع الإنسان الحالي، اكتشف العلماء قوانين الوراثة وما يتبعها من الجينات (الخلايا) التي تحمل صفات الإنسان، وتنقلها من الآباء إلى الأبناء، من خلال التلقيح والتكاثر. وهذا ما جعل علماء الأنثروبولوجيا يعتقدون بأن الجنس البشري مرّ بمراحل تطوّرية عديدة، حتى وصل إلى الإنسان (الحيوان الناطق والعاقل).

6- علاقة الأنثروبولوجيا بعلمي الجيولوجيا والجغرافيا:

تساعد الدراسات الجيولوجية التاريخية في تحديد الفترات الزمنية التي عاش فيها كلّ نموذج من أنواع الجنس البشري، نظراً لوجود البقايا العظمية للأسلاف، على شكل بقايا مستحاثات حفريّة بين ثنايا القشرة الأرضية الرسوبية والمنضّدة بعضها فوق بعض، وفق خاصية النشوء والتقدم لكلّ منها، بحيث يكون أسفلها أقدمها وأعلىها أحدثها.⁽²⁾

وهذا يمكّننا من معرفة الفترة الزمنية التي عاش فيها ذلك الإنسان الحفري، إلى جانب معرفة العالم الحيواني الآخر الذي كان يحيط به، من خلال التعرّف إلى البقايا العظمية المستحاثية للأنواع الحيوانية التي كانت تعاصره في بيئة جغرافية واحدة. كما أننا نستطيع

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 45.

(2) ينظر: عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، ص 52.

التعرّف إلى الظروف المناخية التي كانت سائدة عندما كان يعيش هذا الإنسان أو ذاك، في تلك الأزمنة السحيقة من تاريخنا البشري.⁽¹⁾

وكما تستفيد الأنثروبولوجيا من الدراسات الجيولوجية، تستفيد أيضاً من المعطيات العلمية والجغرافية، وفي مقدّمتها النواحي الطبيعية، من تضاريس ومياه، إلى جانب الظروف المناخية التي تتفاوت من منطقة إلى أخرى.

فجملة هذه العوامل تؤثر في حياة الإنسان من مختلف الجوانب، الاجتماعية والعضوية والثقافية. ولذلك، فإنّ الأحوال المعيشية والبنى الاجتماعية عند المجتمعات البشرية، ليست متشابهة بسبب تباين الظروف الجغرافية التي توجد فيها تلك المجتمعات.

خاتمة:

ومن هذا المنطلق تُشكّل الأنثروبولوجيا مع تفاعلها وتكاملها مع العلوم الأخرى، ولا سيّما العلوم الإنسانية، منظومة من المعارف والموضوعات التي تدور حول الإنسان ونشأته وتطوره، ويأتي هذا التشابك والتلاحق والتمازج بين شتى هذه العلوم المعرفية بالنظر إلى تلك الأطر المعرفية والمناهج التحليلية، التي تنظّم العلاقة المتبادلة والمتكاملة بين المجالات المعرفية المختلفة التي تهدف إليها هذه العلوم.

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 53.

المحاضرة السادسة

تاريخ الأنثربولوجيا

- تمهيد

أولاً - الأنثربولوجيا في العصور القديمة (الشعوب البدائية)

1- عند المصريين القدماء

2- عند الإغريق (اليونانيين القدماء)

3- عند الرومان

4- عند الصينيين القدماء

ثانياً - الأنثربولوجيا في العصور الوسطى

1- في أوروبا

2- عند العرب

ثالثاً - الأنثربولوجيا في عصر النهضة الأوروبية

- تمهيد:

تعتبر الأنثروبولوجيا علم حديث لكن جذورها قديمة قدم وجود الإنسان على سطح الأرض، فالأنثروبولوجيا تدرس الإنسان في أبعاده المختلفة الاجتماعية والدينية والثقافية وغيرها من الفروع، ويمكن تتبع هذا العلم منذ القدم عبر كل المراحل التي مر بها الإنسان بداية من الإنسان البدائي، وفي مختلف الحضارات الإنسانية:

أولاً - الأنثروبولوجيا في العصور القديمة (الشعوب البدائية):

1- عند المصريين القدامى:

يجمع معظم علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا على أن الرحلة التي قام بها المصريون القدامى في عام 1493 ق.م إلى بلاد بونت (الصومال حالياً) بهدف التبادل التجاري، وتعد من أقدم الرحلات التاريخية في التعارف بين الشعوب، ذلك حين أبحر في النيل، صوب جنوب مصر، أسطول مكونا من خمسة مراكب وعلى متن كل مركب 31 فرداً، وذلك بهدف تسويق بضائعهم النفيسة كالبخور والعطور، ونتج عن هذه الرحلة اتصال المصريين القدماء بأقزام إفريقيا، وتأكيداً لإقامة علاقات معهم فيما بعد، فقد صورت النقوش في معبد الدير البحري استقبال ملك ومملكة بلاد بونت لمبعوث مصري.⁽¹⁾

فهذه الرحلة كانت غايتها التجارة وتبادل السلع، إلا أن احتكاك المصريين بأقزام إفريقيا، نتج عنه تعارف وامتزاج الحضارات، ومعرفة العادات والتقاليد من لباس ولهجات نتيجة هذا الاحتكاك والتقارب.

2- عند الإغريق (اليونانيين القدماء):

يعتبر معظم مؤرخي الأنثروبولوجيا الباحث الأنثروبولوجي الأول في التاريخ هو هيرودوتس (القرن 5 ق.م) لأنه أول من صور أحلام الشعوب وعاداتهم وطرح فكرة وجود

(1) ينظر: حسين فهميم، قصة الأنثروبولوجيا، ص 34.

تتوزع فوارق فيما بينهم، حيث قام بجمع معلومات وصفية دقيقة عن عدد كبير من الشعوب غير الأوروبية حيث تناول بالتفصيل تقاليدهم وعاداتهم وملامحهم الجسمانية وأصولهم السلالية.⁽¹⁾

ففي كتاب "التواريخ" حرص هيرودوتس على تقديم كل ما يستحق التسجيل عن التاريخ الإنساني حتى زمانه، فقد قدم معلومات في تسعة فصول عن حوالي خمسين شعباً من خلال رحلاته وقراءاته، إلى جانب وصفه الدقيق للحرب التي دارت بين الفرس والإغريق إبان القرن السادس قبل الميلاد.⁽²⁾

وقد جاء وصفه لمصر أيضاً دقيقاً وشيقاً، وهو صاحب العبارة الشهيرة القائلة بأن "مصر هبة النيل"

ومما يقوله في عادات المصريين القدماء: "إنه في غير المصريين، يطلق كهنة الآلهة شعورهم، أمّا في مصر فيحلقونها. ويقضي العرف عند سائر الشعوب، بأن يحلق أقارب المصاب رؤوسهم في أثناء الحداد، ولكن المصريين إذا نزلت بساحتهم محنة الموت، فإنهم يطلقون شعر الرأس واللحية"⁽³⁾

واستناداً إلى هذه الإسهامات المبكرة والجادة، يعتقد الكثيرون من علماء الأنثروبولوجيا، أنّ "منهج هيرودوتس في وصف ثقافات الشعوب وحياتهم وبعض نظمهم الاجتماعية، ينطوي على بعض أساسيات المنهج (الأنثوجرافي) المتعارف عليه في العصر الحاضر باسم (علم الشعوب)".⁽⁴⁾

(1) ينظر: عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، ص 23.

(2) حسين فهم، قصة الأنثروبولوجيا، ص 34.

(3) عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، ص 19، 20.

(4) المرجع نفسه، ص 20.

نلاحظ مما سبق أن **هيروودوتس** **Hirodotes** هو الذي قام بالخطوة الأولى لجمع معلومات عن الشعوب ومقارنتها.

كما أن **أرسطو** (322-348 ق.م) كان من أوائل الذين وضعوا بعض أوليات الفكر التطوري للكائنات الحية، وذلك من خلال ملاحظاته وتأملاته في التركيبات البيولوجية وتطورها في الحيوان.

كما ينسب إليه أيضا، توجيه الفكر نحو وصف نشأة الحكومات وتحليل أشكالها وأفلها، الأمر الذي يعتبر مساهمة مبدئية وهامة في دراسة النظم الاجتماعية والإنسانية.

إنّ الدارس أعمال الفلاسفة اليونانيين يصل إلى معلومة طريفة وذات صلة بالفكر الأنثروبولوجي، وهي: أنّ اليونانيين أخذوا الكثير من الحضارات التي سبقتهم، حيث امتزجت فلسفتهم بالحضارة المصرية القديمة، وتمخّض عنها ما يعرف باسم "الحضارة الهيلينية" تلك الحضارة التي سادت وازدهرت في القرون الثلاثة السابقة للميلاد.⁽¹⁾

مما سبق نلاحظ أن لفلاسفة اليونان فضل كبير في الفكر الأنثروبولوجي.

3- عند الرومان:

امتد عصر الإمبراطورية الرومانية حوالي ستة قرون، تابع خلالها الرومان ما طرحه اليونانيين من مسائل وأفكار حول بناء المجتمعات الإنسانية وطبيعتها، وتفسير التباين والاختلاف فيما بينها، لكن لا يجد الأنثربولوجيون في الفكر الروماني ما يمكن اعتباره كإسهامات أصيلة في نشأة علم مستقل لدراسة الشعوب وثقافتهم أو تقاليد راسخة لمثل هذه الدراسات.⁽²⁾

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 20.

(2) ينظر: عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثربولوجيا)، ص 25.

مما سبق نلاحظ أن الرومانيين بالرغم من دراساتهم وأفكارهم لم توجد لديهم إسهامات في نشأة الأنثربولوجيا، وهذا خلافا لهيرودوتس وأرسطو اللذين كانا سباقين إلى هذا العلم بفضل دراساتهم وأفكارهم.

ومع ذلك يمكن أن نستثني من ذلك أشعار "كاروس لوكرتيوس" **Karos Lokartyos** التي احتوت على بعض الأفكار الاجتماعية الهامة، وتناول موضوعات عدة، ضمنها أفكاره ونظرياته عن المادة وحركة الأجرام السماوية وشكلها وتكوين العالم، وتناول فكري التطور والتقدم حيث تحدث عن الإنسان الأول والعقد الاجتماعي ونظامي الملكية والحكومة، ونشأة اللغة إلى جانب مناقشته للعادات والتقاليد والفنون والأزياء والموسيقى.

نستنتج أن أشعار لوكرتيوس صدى في الأنثربولوجيا التي تضمنت بعض الأفكار والنظريات الخاصة بالكون والنشأة والتطور.

4- عند الصينيين القدماء :

يعتقد بعض المؤرخين، ولاسيما الأنثربولوجيين منهم أنه على الرغم من اهتمام الصينيين القدماء بالحضارة الرومانية وتقديرها، فلم يجدوا فيها ما ينافس حضارتهم، لأنهم كانوا يشعرون بالأمن والهدوء، وكانوا مكثفين ذاتيا من الناحية الاقتصادية المعاشية، حتى أن تجارتهم الخارجية انحصرت في تبادل السلع والمنافع دون أن يكون لها تأثيرات ثقافية عميقة.⁽¹⁾

ولذلك، اهتم فلاسفة الصين القدماء، بالأخلاق وشؤون المجتمعات البشرية، من خلال الاتجاهات الواقعية / العملية في دراسة أمور الحياة الإنسانية ومعالجتها، لأن معرفة الأنماط السلوكية التي ترتبط بالبناء الاجتماعي، في أي مجتمع، تسهم في تقديم الدليل الواضح على التراث الثقافي لهذا المجتمع، والذي يكشف بالتالي عن طرائق التعامل فيما

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 27.

بينهم من جهة، ويحدّد أفضل الطرائق للتعامل معهم من جهة أخرى. وهذا ما يفيد الباحثين في العلوم الأخرى، ولا سيّما تلك التي تعنى بالإنسان.⁽¹⁾

من الملاحظ أن الصينيين لم تكن لديهم فكرة عن الأنثربولوجيا أو حتى أفكار تلمح إليها.

ثانيا - الأنثربولوجيا في العصور الوسطى:

يجمع المؤرخين أن هذه العصور، تمتد من القرن الرابع إلى القرن الرابع عشر الميلادي، وقد اصطلح على تسميتها بالعصور الوسطى كونها ارتبطت بتدهور الحضارة الأوروبية وارتداد الفكر إلى حقبة مظلمة من جهة ولأنها من جهة وقعت بين عهدين هما نهاية ازدهار الفلسفات الأوروبية القديمة وبداية عصر النهضة.

1- في أوروبا:

في هذه العصور تدهور التفكير العقلاني، وأدينّت أية أفكار تخالف التعاليم المسيحية، أو ما تقدمه الكنيسة من تفسيرات للكون والحياة الإنسانية بالرغم من ذلك ظهرت محاولات عدة للكتابة عند بعض الشعوب.

إلا أنها اتسمت غالبا بالوصف التخيلي، بعيدة عن المشاهدة المباشرة على أرض الواقع مثال ذلك ما قام به الأسقف إيزيدور وموسوعة الفرنسي باتولو ماكوس.⁽²⁾

إن فلاوروبيين محاولات بسيطة اعتمدت على التخيل وأدينّت أي أفكار كانت خارج نطاق المسيحية، ويستثنى من ذلك بعض الكتابات.

2- عند العرب:

وتمتد من منتصف القرن السابع ميلادي وحتى نهاية القرن الرابع عشر حيث بدأ الإسلام في الانتشار، وبدأت معه بواكر الحضارة العربية الإسلامية آنذاك بالتكوين والازدهار

(1) عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثربولوجيا)، ص 22.

(2) ينظر: حسين فهم، قصة الأنثربولوجيا، ص 42، 43.

حيث تضمنت الآداب والأخلاق والفلسفة والمنطق، كما كانت ذات تأثير خاص في الحياة السياسية والاجتماعية، حيث اقتضت الأوضاع الجديدة الاهتمام بدراسة أحوال الناس في البلاد المفتوحة.(1)

أدى انتشار الإسلام إلى ازدهار العرب ومن ثمة اهتموا بالناس وأحوالهم.

وقد برز العرب كذلك في إعداد المعاجم الجغرافية، والموسوعات وكثرة الرحلات التي فيها وصف العمران، والأقاليم، وعادات وتقاليده الشعوب.

وقد اقتضت الأوضاع الجديدة التي أحدثتها الفتوحات العربية الإسلامية، الاهتمام بدراسة أحوال الناس في البلاد المفتوحة وسبل إدارتها، حيث أصبح ذلك من ضرورات التنظيم والحكم.

ولذلك، برز العرب في وضع المعاجم الجغرافية "كمعجم (البلدان) لياقوت الحموي، وكذلك إعداد الموسوعات الكبيرة التي بلغت ذروتها في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر ميلادي) مثل: "مسالك الأمصار" لابن فضل الله العمري، و"نهاية الأرب في فنون العرب" للنويري".(2)

وفي هذا الشأن، كتب أستاذ التاريخ د نقولا زيادة في كتابه " الجغرافية والرحلات عند العرب" أنه "باستقرار الدولة الإسلامية وكثرة تنقل الحجاج والتجار وأهل العلم والرحالين واهتمام الكثرة من هؤلاء بتدوين ما يرون ويشهدون ويسمعون، أخذت العناية بالجغرافية تتبلور حول دراسة الأقاليم والمناطق دراسة وافية"(3)

وإلى جانب اهتمام هذه الكتب الموسوعية بشؤون العمران، فقد تميّزت مادتها بالاعتماد على المشاهدة والخبرة الشخصية، وهذا ما جعلها مادة خصبة من ناحية المنهج

(1) ينظر: عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، ص 28.

(2) المرجع نفسه، ص 24.

(3) حسين فهم، قصة الأنثروبولوجيا، ص 44.

الأنثروبولوجي في دراسة الشعوب والثقافات الإنسانية.

وهناك من تخصص في وصف إقليم واحد مثل/ البيروني/ الذي عاش ما بين (362 - 440 هجرية) ووضع كتاباً عن الهند بعنوان "تحرير ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة". وصف فيه المجتمع الهندي بما فيه من نظم دينية واجتماعية وأنماط ثقافية. واهتم أيضاً بمقارنة تلك النظم والسلوكيات الثقافية، بمثلاتها عند اليونان والعرب والفرس. وأبرز البيروني في هذا الكتاب، حقيقة أن الدين يؤدي الدور الرئيس في تشكيل الحياة الهندية، وتوجيه سلوك الأفراد والجماعات، وصياغة القيم والمعتقدات.⁽¹⁾

بالإضافة الإشارة إلى الكاتب الموسوعي علي بن الحسين المسعودي الرحالة والمؤرخ الاجتماعي، ويعتبر مؤلفه الشهير "مروج الذهب ومعادن الجوهر" الذي دونه حوالي سنة 330هـ/912م، "كتاب سياحة ومعرفة جغرافية، وعمران وعلم وملاحظة، وأخبار وأساطير"⁽²⁾

كما كانت لرحلات ابن بطوطة وكتابه خصائص ذات طابع أنثروبولوجي، برزت في اهتمامه بالناس ووصف حياتهم اليومية، وطابع شخصياتهم وأنماط سلوكياتهم وقيمهم وتقاليدهم. فمما كتبه في استحسان أفعال أهل السودان: "فمن أفعالهم قلة الظلم، فهم أبعد الناس عنه وسلطانهم لا يسمح أحداً في شيء منه. ومنها شمول الأمن في بلادهم، فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاصب. ومنها عدم تعرضهم لمال من يموت في بلادهم من البيضان (البيض والأجانب) ولو كان القناطير المقنطرة. وإنما يتركونه بيد ثقة من البيضان، حتى يأخذه مستحقه.

أمّا كتاب ابن خلدون "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، فقد نال شهرة كبيرة وواسعة بسبب مقدماته الرئيسية

(1) ينظر: عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، ص 24.

(2) ينظر: حسين فهم، قصة الأنثروبولوجيا، ص 46.

وعنوانها: "في العمران وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك والسلطان، والكسب والمعاش والمصانع والعلوم، وما لذلك من العلل والأسباب". وتعتبر هذه المقدمة عملاً أصيلاً في تسجيل الحياة الاجتماعية لشعوب شمال أفريقيا، ولا سيما العادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية، إلى جانب بعض المحاولات النظرية لتفسير كل ما رآه من أنظمة اجتماعية مختلفة. وقد شكّلت موضوعات هذه المقدمة - فيما بعد - اهتماماً رئيسياً في الدراسات الأنثروبولوجية.⁽¹⁾

ومن أهم الموضوعات التي تناولها ابن خلدون في مقدّمته، والتي لها صلة باهتمامات الأنثروبولوجيا، هي تلك العلاقة بين البيئة الجغرافية والظواهر الاجتماعية. فقد ردّ ابن خلدون - استناداً إلى تلك الدعامات - اختلاف البشر في ألوانهم وأمزجتهم النفسية وصفاتهم الجسمية والخلقية، إلى البيئة الجغرافية التي اعتبرها أيضاً عاملاً هاماً في تحديد المستوى الحضاري للمجتمعات الإنسانية. كما تناول ابن خلدون في مقدّمته أيضاً، مسألة قيام الدول وتطورها وأحوالها، وبلور نظرية (دورة العمران) بين البداوة والحضارة على أساس المماثلة بين حياة الجماعة البشرية وحياة الكائن الحي.⁽²⁾

واستناداً إلى ما تقدّم يمكن القول: إنّ الفلاسفة والمفكرين العرب أسهموا بفاعلية - خلال العصور الوسطى - في معالجة كثير من الظواهر الاجتماعية التي يمكن أن تدخل في الاهتمامات الأنثروبولوجية.

يتضح مما سبق أن للرحلات العربية دور مهما في الأنثروبولوجيا.

ثالثاً- الأنثروبولوجيا في عصر النهضة الأوروبية:

يتفق المؤرخون على أن عصر النهضة في أوروبا، بدأ في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي حيث شرع الأوروبيون بعملية دراسة انتقائية للعلوم والمعارف

(1) ينظر: عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، ص 25.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص 26.

الإغريقية والعربية، بحركة زيادة نشطة للاستكشافات الجغرافية، أسهمت في بلورة الأنثروبولوجيا في نهاية القرن التاسع عشر كعلم يدرس تطور الحضارة البشرية.

إن ظهرت الأنثروبولوجيا في القرن التاسع عشر كعلم حديث بفضل المحاولات التي قام بها الرحالة وغيرهم. ولعل أهم رحلة استكشافية مشهورة أثرت في علم الأنثروبولوجيا، ما قام بها كريستوف كولومبس إلى القارة الأمريكية ما بين 1492م - 1502م، حيث زحرت مذكراته عن مشاهداته واحتكاكاته بسكان العالم الجديد، بالكثير من المعلومات والمعارف عن أساليب حياة تلك الشعوب وعاداتها وتقاليدها، اتسمت بالموضوعية نتيجة المشاهدة المباشرة، مما أثر في الفكر الأنثروبولوجي.⁽¹⁾

أثر كولومبس من خلال اكتشافاته، حيث دخلت أوروبا حقبة جديدة وفي الفكر الأنثروبولوجي.

ومن هنا نخلص إلى أن علم الأنثروبولوجيا علم حديث إلا أن البحث في شؤون الإنسان والمجتمعات الإنسانية قديم قدم وجود الإنسان على سطح الأرض، منذ ظهور الإنسان البدائي ووعى بذاته وسعيه لفهم ما يحيط به من أمور في بيئته، ولقد برز الكثير من العلماء والفلاسفة في كل مكان وزمان عبر التاريخ الإنساني وكتاباتهم عن الشعوب والمجتمعات.

كما ساهمت الرحلات الاستكشافية والتجارية وحتى الحروب بدور هام، فحصل الاتصال بين مختلف الشعوب وقربت فيما بينهم، ومعرفة عاداتهم وتقاليدهم، كل هذا كان البذور الأولى التي مهدت لظهور علم الأنثروبولوجيا، ولذلك من الصعب أن نستطيع تحديد تاريخ لبداية الأنثروبولوجيا.

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 33، 34.

المحاضرة السابعة

علاقتها بعلم النفس

- تمهيد

أولاً- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم النفس

1- مفهوم علم النفس

2- تعريف الأنثروبولوجيا النفسية

3- مفهوم الشخصية وطبيعتها

ثانياً- مفهوم الثقافة وخصائصها

1- مفهوم الثقافة

2- خصائص الثقافة

ثالثاً- الثقافة والشخصية

1- الناحية الجسمية

2- الناحية الجسمية

3- الناحية الجسمية

4- الناحية الخُلقية

- تمهيد:

ترتبط الأنثروبولوجيا علاقة جد وطيدة بعلم النفس، وسنحاول من خلال هذه المحاضرة تبيان تلك العلاقة التي تربط هذين العلمين.

أولاً-علاقة الأنثروبولوجيا بعلم النفس:

قبل الولوج إلى الكشف عن علاقة الأنثروبولوجيا بعلم النفس لابد لنا من التعرف أولاً على مفهوم علم النفس، وماذا يدرس.

1- مفهوم علم النفس:

يعرّف علم النفس بأنّه: "العلم الذي يهتم بدراسة العقل البشري، والطبيعة البشرية، والسلوك الناتج عنهما. أي أنّه: مجموعة الحقائق التي يتم الحصول عليها من وجهة النظر النفسية".

ومن هنا، يمكن أن نقول بأنّ علم النفس، هو ذلك العلم الذي يقوم بدراسة الإنسان من جوانب عدة في شخصيته، بهدف الوصول إلى حقائق حولها.

وإذا كانت الأنثروبولوجيا، توصف بأنّها العلم الذي يدرس الإنسان، من حيث تطوره وسلوكاته وأنماط حياته، فإنّ علم النفس يشارك الأنثروبولوجيا في دراسة سلوك الإنسان. ولكنّ الخلاف بينهما، هو أنّ علم النفس يركّز على سلوك الإنسان/الفرد، أمّا الأنثروبولوجيا فتركّز على السلوك الإنساني بشكل عام. كما تدرس السلوك الجماعي النابع من تراث الجماعة.⁽¹⁾

وبما أن علم النفس تقتصر دراسته على الفرد، على خلاف الأنثروبولوجيا توجه اهتمامها على المجموعة من جهة، وعلى كلّ فرد باعتباره عضواً في هذه المجموعة من جانب آخر، ولها هناك صلة وثيقة بين هذين العلمين.

(1) ينظر: عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، ص 50، 51.

وتتصبّ الدراسة في علم النفس الاجتماعي على المحاكاة والتقليد والميول الاجتماعية، كالمشاركة الوجدانية والتعاون والغيرية وغيرة التجمّع، إضافة إلى دراسة الاتجاهات. فقد صدرت دراسات خاصة بالأنثروبولوجيا السيكولوجية، التي تعنى بالظواهر السيكولوجية لبني البشر حين يعيشون في طبقة أو جماعة، حيث أنّ الطبيعة الإنسانية من صميم علم النفس العام، كما أنّها عامل حتمي في تكوين النظم الاجتماعية / الإنسانية.⁽¹⁾

ولهذا نرى أنّ المهمة التي تواجهه يقوم بها الباحث الأنثروبولوجي، لا تختلف بتاتا عن تلك المهمة التي تواجهه عالم النفس. فكلاهما عليه أن يستخلص صفات الشيء الذي هو موضوع دراسته.

2- تعريف الأنثروبولوجيا النفسية:

تسمّى الأنثروبولوجيا النفسيّة أيضاً (الثقافة والشخصيّة) Culture and Personality. وذلك بالنظر إلى العلاقة الوثيقة بين الثقافة والشخصيّة الإنسانية. فقد أثبتت بعض الدراسات أنّ التطابق في التقييمات المستقلّة للمعلومات التي جمعت، بقصد دراسة معادل " الثقافة - الشخصية " بلغ حدّاً كبيراً يدلّ على توقّع حدوث تعاون مثمر، بين الأنثروبولوجيين والتحليل النفسي في أبحاث أخرى. ويدلّ أيضاً، على أنّ من المستحسن أن يتدرّب الباحث على فروع علمية عديدة حتى يتمكّن من إجراء المراحل المختلفة من البحث والتحليل، والتي تتطلبها طريقة التركيب " السيكو - ثقافي ".⁽²⁾

إذن موضوع الأنثروبولوجيا النفسية يتحدّد من خلال العلاقة الموجودة بين الثقافة والشخصيّة، وتسير هذه العلاقة في اتجاهين متكاملين يبرز تأثر وتأثير أحدهما في الآخر: اتّجاه يأخذ أثر الثقافة في الشخصية، واتّجاه يأخذ أثر الشخصية في الثقافة.

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 51.

(2) عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، ص 97.

3- مفهوم الشخصية وطبيعتها:

حظي مفهوم الشخصية الإنسانية والعوامل المؤثرة في تكوينها اهتمام كبير من قبل العلماء النفسيين والاجتماعيين، وذلك بغية التعرف إلى الشخصية ومكوناتها، وكيفية تفاعلها مع البيئة المحيطة، والعوامل المساهمة في نموها وتطورها.

وعلى الرغم من الاتفاق على وحدة هذه الشخصية وتكاملها كنتاج اجتماعي من جهة، ومحرّك لتصرّفات الفرد ومواقفه الحياتية من جهة أخرى، فقد تعدّدت تعريفاتها تبعاً للنظر إليها من جوانب متعدّدة.

فانطلاقاً من أنّ الشخصية تعبّر عن الجوهر الاجتماعي / الحقيقي للإنسان، فقد عرّفها رالف لينتون، بأنّها: "المجموعة المتكاملة من صفات الفرد العقلية والنفسية. أي المجموع الإجمالي لقدرات الفرد العقلية وإحساساته ومعتقداته وعاداته، واستجاباته العاطفية المشروطة"

كما عرّفها فيكتور بارنوا بأنه: "تنظيم ثابت لدرجة ما، للقوى الداخلية للفرد. وترتبط تلك القوى بكلّ مركّب من الاتجاهات والقيم والنماذج الثابتة بعض الشيء، والخاصة بالإدراك الحسي، والتي تفسّر - إلى حدّ ما - ثبات السلوك الفردي".⁽¹⁾

ومن خلال هذين التعريفين نجد أن مفهوم الشخصية يعبّر عن الوصف الاجتماعي للإنسان، والذي يشمل الصفات التي تتكوّن عند الكائن البشري من خلال التفاعل مع المؤثرات البيئية، والتعامل مع أفراد المجتمع بصورة عامة.

إنّ شخصية كلّ فرد متميّزة ومتفرّدة بسماتها وخصائصها، ولكّنه في الوقت ذاته يشترك مع الآخرين من أبناء جنسه، في الكثير من المظاهر التي تجعله وإياهم من جنس واحد. ولذلك تتّصف الشخصية الإنسانية بنوع من الثبات، يبدو في مواقفها واتّجاهاتها وأساليب تعاملها، وشعورها بهويّتها. وفي المقابل، تخضع هذه الشخصية للتغيّر والتطوّر. وهذا ما

(1) المرجع السابق، ص 98.

تحّدده مكونات الشخصية من جهة، والبيئة التي تنشأ فيها وتنمو من جهة أخرى.

وبناء على ما تقدّم ذكره، يمكن القول بأنّ الشخصية الإنسانية تتميز بالخصائص التالية:

- النمو والتكامل

- الهوية الشخصية (الذاتية)

- الثبات والتغير

ثانياً - مفهوم الثقافة وخصائصها:

تعدّ الثقافة عاملاً هاماً في نمو وتطور المجتمعات والأمم، وتتميز بعضها من بعض، وذلك بالنظر لما يحمله هذا المصطلح من خصائص ودلالات ذات أبعاد فردية واجتماعية، وإنسانية أيضاً.

ولذلك، تعدّدت تعريفات الثقافة ومفهوماتها، بين الباحثين والدارسين، كما تجاذبته العديد من التخصصات المعرفية والعلمية.

1- مفهوم الثقافة:

يعد تعريف عالم الأنثروبولوجيا البريطاني إدوارد بورنت تايلور **Edward Taylor** من أشهر تعريفات الثقافة وأكثرها ذيوفا حتى الآن لقيمتها التاريخية، والذي قدمه في أواخر القرن التاسع عشر في كتابه "الثقافة البدائية" **la primitive culture** سنة 1871 م، والذي وضع فيه مدى قدرة الفرد أو الجنس البشري عامة على امتلاك خصائص وسمات ثقافية تميزه عن المخلوقات الأخرى في المجتمع أو الحياة الطبيعية، فالإنسان هو المخلوق الذي يستطيع أن يكتسب قدرات وقيم وأخلاقيات ومثل وقوانين.

وذهب فيه إلى أن الثقافة "هي ذلك الكل المركب الذي يشمل على المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون، العادات والتقاليد، الدين واللغة وجميع العناصر التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في مجتمعه" (1)

ولعل أبسط تعريفات الثقافة وأكثرها وضوحاً تعريف أحد علماء الاجتماع روبرت بيرستد **Robert Bierstedt** الذي ظهر في أوائل الستينيات حيث يعرفها بقوله "إن الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه أو نقوم بعمله أو نمتلكه كأعضاء في مجتمع" (2) يبرز هذا التعريف الصيغة التأليفية للثقافة لتصبح ظاهرة مركبة تتكون من عناصر بعضها فكري وبعضها سلوكي وبعضها مادي.

ويقدم مالك بن نبي في مشروعه الفكري تعريفاً جديداً للثقافة، فالثقافة في نظره "مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح العلاقة التي تربط بشكل لاشعوري سلوكه بأسلوب الحياة في وسطه الذي ولد فيه، فالثقافة هي المحيط الذي يتحرك فيه الفرد ويغذي إلهامه، وهي الجو الذي يتنفس فيه الإنسان ويكتسب العادات والأشكال والحركات، إنها الرابط العضوي بين الإنسان ومحيطه" (3) فالفرد يكتسب ثقافته من محيطه الاجتماعي الذي ترعرع فيه ونهل من قيمه ومقوماته الأخلاقية فهي بهذا الشكل ترتبط به ارتباطاً عضوياً.

فالثقافة بالمعنى الأنثروبولوجي هي أسلوب حياة مجموعة معينة من البشر يعيشون معاً في مكان واحد، وتتضح تلك الثقافة في قبولهم وفي نظامهم الاجتماعي وفي عاداتهم وتقاليدهم، وفي دينهم ولكن تلك الأشياء معاً لا تؤلف ثقافة، فالثقافة أكبر من مجرد مجموع الفنون

(1) يحي مرسى بدر، أصول علم الإنسان الأنثروبولوجيا، ص 352.

(2) مجموعة من الكتاب، نظرية الثقافة، ترجمة: علي سيد الصاوي، عالم المعرفة، الكويت، د ط، 1997، ص 09

(3) مالك بن نبي، مشكلات الحضارة شروط النهضة، ترجمة: عمر كامل مسقاوي، عبد الصبور شاهين، دار الكتاب

المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ط، 2012، ص 52

والعادات والمعتقدات الدينية، فكل تلك الأشياء تؤثر في بعضها البعض، ولكي نتمكن من فهم إحداها بشكل تام يجب فهمها جميعاً فهما تاماً.

2- خصائص الثقافة:

تتسم الثقافة بعدة خصائص من أبرزها أنها:

- إنسانية

- مكتسبة

-اجتماعية

- تطورية / تكاملية

- استمرارية / انتقالية

ثالثاً - الثقافة والشخصية:

إنَّ شخصيّة الفرد تنمو وتتطور، من جوانبها المختلفة، داخل الإطار الثقافي الذي تنشأ فيه وتعيش، وتتفاعل معه حتى تتكامل وتكتسب الأنماط الفكرية والسلوكية التي تسهل تكيف الفرد، وعلاقاته بمحيطه الاجتماعي العام .

فالثقافة إذن ترتبط بالشخصية، حيث تكون عموداً أساسياً من أعمدة هذه الشخصية بحيث تحدّد سماتها. ولذلك، فإنّ دراسة الثقافة والشخصية، تمثل نقطة التقاء بين علم النفس وعلم الإنسان (الأنثروبولوجيا).

فلا يمكن فهم أي شخص فهماً جيّداً، من دون الأخذ في الاعتبار الثقافية التي نشأ عليها. كما لا يمكن فهم أي ثقافة إلاّ بمعرفة الأفراد الذين ينتمون إليها ويشاركون فيها، وتتجلى بالتالي في سلوكياتهم الملحوظة، حيث تبدو تأثيرات الثقافة على الفرد في النواحي التالية:⁽¹⁾

(1) ينظر: عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، ص 110، 111.

5- الناحية الجسمية:

إنّ الثقافة السائدة لدى شعب من الشعوب، كثيراً ما تجبر الفرد بما لها من قوّة جبرية وإلزام، وسيطرة مستمّدة من العادات والقيم والتقاليد على أعمال وممارسات قد تضرّ بالناحية الجسمية ضرراً كبيراً.

6- الناحية العقلية:

لا شكّ في أنّ الثقافة بأبعادها المادية والمعنوية، تؤثر تأثيراً فاعلاً في الناحية العقلية للشخصيّة، ولا سيّما من الجانب المعرفي / الفكري. فالفرد الذي يعيش في جماعة (مجتمع) تسود ثقافتها العقائد الدينية أو الأفكار السحرية، تنشأ عقليته وأفكاره متأثرة بذلك.

3- الناحية الانفعالية:

يتضمّن الجانب الانفعالي، ما لدى الشخص من الاستعدادات والدوافع الغريزية الثابتة نسبياً، والتي يزود بها منذ تكوينه وطفولته. وتعتمد على التكوين الكيميائي والغدي والدموي، وتتصل اتصالاً وثيقاً بالنواحي الفيزيولوجية والعصبية.

وتؤكد الدراسات الأنثروبولوجية، أنّ للثقافة دوراً كبيراً في تربية مزاج الشخص وتهذيب انفعالاته، وإن لم يكن لها الدور الحاسم في ذلك. فكثيراً ما نجد شخصاً قد ورث في تكوينه البيولوجي، عوامل (استعدادات) تثير لديه الغضب، لكنّ التنشئة الاجتماعية/الثقافية، ونبذ المجتمع لتلك الصفة، يجعله يعدّل من سلوكه.

4- الناحية الخُلقية:

تستند إلى الناحيتين العقلية والانفعالية، باعتبارهما المواد الخام التي تبنى عليها الصفات الخُلقية. ولذا فإنّ الأخلاق السائدة في المجتمع، هي الحصيلة الناتجة من تفاعل القوى العقلية والانفعالية، مع عوامل البيئة. أي أنّ النواحي الأخلاقية أكثر قرباً إلى العوامل

البيئية، والوسط الاجتماعي والثقافة المهيمنة على الشخص. فكلّ ثقافة نسق أخلاقي خاص ينساق فيه الفرد.

ويتفق الأنثروبولوجيون النفسيون على حدوث تغيّرات في الشخصية العامة للمجتمع عبر الزمان، ولكن معدّلات تلك التغيّرات تختلف تبعاً لتأثير عوامل متنوّعة ومتشابكة، ومن أهمّها التغيير الثقافي .. ويتّجه الرأي العام إلى التعميم، بأنّ تغيّر شخصيّة المجتمع يسير بمعدّل أبطأ من معدّل التعبير الثقافي، وهذا ما يتّضح عبر الأجيال.

المحاضرة الثامنة

علاقتها بعلوم التربية

1- تمهيد

أولاً- مفهوم علوم التربية

1- مفهوم التربية

2- مفهوم علوم التربية

ثانياً - الأنثربولوجيا التربوية

- تمهيد:

إن الأنثربولوجيا باعتبارها علما يهتم بالإنسان، فمن المتعارف عليه أنها ستبحث في كل مجالات المعرفة الإنسانية لتفسير خصوصياتها وفهمها، وسبر أغوار قواعدها والكشف عن أهدافها التي ترنو إلى تحقيقها.

وتعد العلوم التربوية من المعارف الجوهرية والأساسية في مجال البحث الأنثربولوجي من دون أن نهمل أن التربية كعلم تتضمن بدورها الكثير من القيم الثقافية والاجتماعية والأنثربولوجية، ولكي تكتمل هذه الصورة يجب علينا أن نطرح إشكالية مفادها: كيف كان اهتمام الأنثربولوجيا بعلوم التربية؟

أولا- مفهوم علوم التربية:

قبل أن نتطرق إلى موضوع الأنثربولوجيا وعلوم التربية، يجب علينا أن نتعرف على مفهوم علم التربية وماذا يدرس؟

1- مفهوم التربية:

لقد تعددت التعريفات المخصصة لمفهوم التربية بين الباحثين والدارسين قديما وحديثا، كما تجاذبته العديد من التخصصات المعرفية، نظرا للمكانة العلمية التي يتبوؤها هذا المصطلح العلمي في ميادين وحقول علمية شتى.

فكلمة تربية يقصد بها "عملية أو صيرورة من خلالها تتم تنمية وتطوير الملكات العقلية والذهنية للإنسان، ويكون ذلك من خلال التكرار، التدرج (المعرفة من الجزء إلى الكل أو العكس والتمارين"⁽¹⁾

(1) مصطفى تلوين، مدخل عام في الأنثربولوجيا، ص 62.

كما عرف معجم "اللانند" التربية بأنها "سياق يقوم في أن تتطور وظيفة أو عدة وظائف تدريجيا بالتدريب، وأن تتحسن نتيجة لذلك"⁽¹⁾

ومن هنا نرى بأن مفهوم التربية يستهدف تطوير وتنمية الملكات المختلفة للإنسان بهدف الوصول به إلى أسمى الدرجات.

2- مفهوم علوم التربية:

لقد تعددت تعريفات هذا المصطلح بين الباحثين قديما وحديثا، فقد ذهب بعض الباحثين في مجال التربية إلى تعريفها بقولهم، "هي علوم تهتم بتنمية قدرات وملكات المتعلمين وخاصة الأطفال"، أو هي "نشاط يمارس على الآخر لتطوير إمكانياته، وقدراته سواء أكانت ذهنية أو جسدية مثلا: علوم التربية البدنية تنمي الجسد والعقل معا"⁽²⁾

ومن هنا نستنتج بأن علوم التربية لها دور كبير في تنمية القدرات المختلفة خاصة لدى الأطفال، بهدف تقويم ذواتهم وتنمية استعداداتهم وميولاتهم النفسية والوجدانية والمعرفية... إلخ.

ثانيا - الأنثربولوجيا التربوية:

يعد مصطلح أنثربولوجيا التربوية أحد فروع الأنثربولوجيا المهمة، ففي الفترة ما بين (1922-1925) قام "إميل دوركايم" Imil Dorkham بمحاولة تأسيس أنثربولوجيا مشتقة من علم الاجتماع تهتم بموضوع التربية، وذلك من خلال بحثه في الأنظمة التربوية، التي تسمح لمجتمع ما في التكيف بسرعة، خاصة في مجال تقسيم مهام العمل، أي ذلك الانتقال من العمل العضوي إلى العمل الميكانيكي أو الآلي، وهنا يكمن دور التربية في تأهيل المهارات حسب التخصصات.

(1) عبد الكريم بكار، حول التربية والتعليم، دار القلم، دمشق، ط3، 1432/2011 هـ، ص 12.

(2) مصطفى تلوين، مدخل عام في الأنثربولوجيا، ص 62.

وهكذا تم تطوير اهتمامات دوركايم من خلال الربط أو إيجاد العلاقة بين نظام التعليم والمجتمع.

أما في الدول الأنكلوساكسونية وعلى رأسها بريطانيا وأمريكا فكان الاهتمام منصبا حول ثقافة المتعلمين والعلاقة الالتفافية الموجودة بين المعلم والمتعلم، وبعد ذلك تطورت هذه الأنثربولوجيا لتبحث في محتويات البرامج التعليمية والبحث في الأسباب التي تجعل هذه البرامج معتمدة، وفي الفرق بين التعليم الذي تراقبه الدولة وتعليم المدارس الحرة، بالإضافة إلى البحث في العلاقة بين الموجودة بين المدرسة والمحيط.⁽¹⁾

ومن أشهر النماذج في أنثربولوجيا علوم التربية نجد الأنثربولوجية الأمريكية "مرغريت ميد" **margaret mead** (1901-1978)، والتي تعتبر من أشهر الأنثربولوجيين والإثنولوجيين الأمريكيين والعالميين، ولقد أثرت أبحاثها على مجتمعات زمانها، فقد قامت بعدة دراسات وأبحاث ميدانية بالخصوص في مجتمعات الهنود الحمر، ومن هذه الأبحاث دراستها لقبيلة ساموا، لكن هذا البحث كان فاشلا، وقد قامت به سنة 1925، كما قامت بدراسات ميدانية عند قبائل المانوس وقبائل الأرباش، وقبائل الموندوقمور وقبائل التشامبولي. وقبائل الياثمول في غينيا الجديدة بإفريقيا، ثم قامت بدراسات حول الهنود الحمر بالولايات المتحدة الأمريكية.

بالإضافة إلى مرغريت ميد سنجد عالمة الأنثربولوجيا والاثنولوجيا وهي "بنيدكت روث فولتون" (1887-1948) إذ درست مختلف السلوكات في مختلف الثقافات، كما درست مختلف هذه السلوكات من أبسطها إلى أعقدها وطبقتها في المجال التربوي واستعانت بالدراسات النفسية في ذلك، وطبقت الكثير من المفاهيم المعروفة والموجودة في علم النفس والفلسفة وعلم الأساطير، مثل أسطورة أبولون إله العقل، وقد قامت

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 64.

بأعمال وأبحاث ميدانية على هنود الجبال في أمريكا و قبيلة بويبلو، وقبيلة زوني سنة
1935.(1)

(1) ينظر: مصطفى تلوين، مدخل عام في الأنثروبولوجيا، ص 65، 68، 69.

المحاضرة التاسعة

الأنثربولوجيا والإثنولوجيا

أولاً - مصطلحي الأنثربولوجيا والإثنولوجيا تمهيد مبدئي للمفاهيم

أولاً- مصطلحي الأنثربولوجيا والاثنولوجيا تمهيد مبدئي للمفاهيم:

لا تقتصر الأنثربولوجيا على دراسة المجتمعات البدائية وحدها بل تتعدى ذلك إلى دراسة المجتمعات المتحضرة، فالأنثربولوجيا قد ركزت انتباهها تقليدياً على دراسة إنسان ما قبل التاريخ والإنسان البدائي، ولكن من حيث كونها علماً لدراسة الإنسان، ينبغي لها مع ذلك أن تدخل في مجالها بحق دراسة الإنسان على أي مستوى ثقافي بدائي ومتحضر، وينبغي لها بحق أن تدخل في أبحاثها دراسة الإنسان في أي زمن، سواء كان هذا فيما قبل التاريخ أو في العصور التاريخية أو المعاصرة، إن الأنثربولوجيا يجب أن تنتهي إلى نتائج يستفاد منها في مشكلات المجتمع الحديث؛ ويجب عليها أن تضع مناهجها تحت تصرف العلوم الأخرى.⁽¹⁾

وقد حدث خلط كبير في استخدام هذين المصطلحين مصطلح الأنثربولوجيا والاثنولوجيا، وكان يطلق على مصطلح الأنثربولوجيا الاجتماعية مثلاً اصطلاح الإثنولوجيا، في بعض الجامعات، ويمكن القول أن موضوع الإثنولوجيا الرئيسي هو الثقافة، أي أنها تركز على دراسة سلوك الإنسان أينما وجد.

ومن ثم فإن الإثنولوجيين يستهدفون تسجيل الأشكال والأنماط السلوكية في أي مكان سواء أكان المجتمع متحضراً أم بدائياً، بغية الوصول إلى الحقائق الثقافية، للجماعات البشرية المختلفة، وغالباً ما يعطي الإثنولوجي جانباً من اهتماماته لدراسة المجتمعات البدائية أو الأقل تقدماً لإلقاء الضوء على هذه الجماعات وثقافتها المتميزة.⁽²⁾

فالاثنولوجيا فتهتم بالدراسة المقارنة والتحليلية بهدف الوصول إلى تصورات حول مختلف النظم الاجتماعية والإنسانية من حيث أصولها وتنوعاتها وتطورها.

(1) ينظر: حسن شحاتة سغان، علم الإنسان (الأنثربولوجيا)، ص 01، 02.

(2) فاروق مصطفى إسماعيل، الأنثربولوجيا الثقافية، الهيئة العامة المصرية للكتاب، دط، 1980، ص 34.

المحاضرة العاشرة

الأنثربولوجيا والإثنولوجيا

(في التعاريف)

- تمهيد

أولاً- مفهوم الإثنولوجيا من الناحية اللغوية والاصطلاحية Ethnologie.

أ- من الناحية النظرية

ب- من الناحية الاصطلاحية

- تمهيد:

يتفق أغلب الباحثين الاجتماعيين على أن العلاقة بين الأنثروبولوجيا والاثنولوجيا هي علاقة معرفية تكاملية وعضوية يصعب فصل الواحدة عن الأخرى أحيانا.

لقد سبق أن تعرضنا إلى مفهوم الأنثروبولوجيا من الناحية اللغوية والاصطلاحية، ولهذا سنسعى من خلال هذه المحاضرة إلى الحديث عن مصطلح الاثنولوجيا وذلك للفصل فيه، وتبيان هذا المفهوم

أولاً- مفهوم الإثنولوجيا من الناحية اللغوية والاصطلاحية Ethnologie:

أ- من الناحية اللغوية:

تعد الاثنولوجيا من حيث الأصل اللغوي كلمة يونانية مركبة من لفظة اثنوس أي الأقلية الشعبية أو الجماعة أو القبيلة أو العشيرة، ولفظة لوكوس أي الدراسة أو العلم ليصبح المعنى الإجمالي هو علم الشعوب أو دراسة الشعوب.

ب- من الناحية الاصطلاحية:

إن كلمة الإثنولوجيا ذات أصل يوناني ethnos بمعنى دراسة الشعوب ولذلك فهي تدرس خصائص الشعوب اللغوية والثقافية والسلالية أي دراسة الصفات والخصائص المميزة لأجناس الإنسان من حيث الملامح الفيزيائية والخلقية السائدة بين البشر وكذلك العلاقات القائمة التي تربط بين الأجناس.⁽¹⁾

ويعتبر العالم السويسري "شافان" chavannes أول من استعمل كلمة إثنولوجيا وكان ذلك عام 1787 في كتابه "محاولة حول التربية الفكرية مع مروع علم جديد" وأن كلمة اثنولوجيا كانت مرادفة لعلم تصنيف الأعراق أو الأجناس، وذلك في بداية القرن 19 بمعنى أنها كانت في هذا القرن جزءا مما يسمى حاليا بالأنثروبولوجيا البيولوجية أما القرن

(1) ينظر: أزهرى مصطفى صادق علي، الأنثروبولوجيا الطبيعية والثقافية، ص 02.

20 وبالضبط في منتصفه فإنها أصبحت تعني مجموعة العلوم الاجتماعية التي تدرس المجتمعات البدائية أو ما يسمى بإنسان المستحثات، وهنا ومن خلال هذا المعنى فإن الإثنولوجيا لم تختلف عن الأنثربولوجيا بل هي نفسها الأنثربولوجيا أو هي جزء منه. (1)

إن الإثنولوجيا تدرس الأعراق من خلال ثقافتها، طرق التواصل لديها، ومن خلال أصولها العرقية، ومن خلال ماضيها من أجل إعادة بنائه، وفي هذا المعنى نجد الإنكليز قد ربطوا كلمة الإثنولوجيا بدراسة المشكلات العامة التي تكون الحقل الأساسي للأنثربولوجيا الثقافية والاجتماعية.

بمعنى أن الإثنولوجيا ما هي إلا أنثربولوجيا اجتماعية وثقافية أي مرادفة لها.

تهتم الإثنولوجيا بالدراسة التحليلية، والمقارنة للمادة الإثنوغرافية، بهدف الوصول إلى تصورات نظرية أو تعميمات بصدد مختلف النظم الاجتماعية الإنسانية، من حيث أصولها وتطورها وتنوعها. (2)

فهو العلم الذي يدرس الأعراف والسلالات البشرية وهي التي تقصد الإثنيات الاجتماعية، فموضوعها الأساسي هو سلوك الإنسان أينما وجد وهي تهدف إلى تسجيل الأشكال والأنماط السلوكية في أي مكان.

فالإثنولوجيا هي الدراسة التاريخية والمقارنة للثقافات أو الشعوب، تمثل السلالة وحدة الدراسة الأساسية فيها، وقد عرف كروبر ميدان دراسة الإثنولوجيا بأنه يشمل كلا من الثقافة والتاريخ والجغرافيا.

ويستخدم مصطلح الإثنولوجيا بدلا من مصطلح الأنثربولوجيا في العديد من الدول الأوروبية، وخاصة دول شرق أوروبا، حيث يعتقد أنه لا يمكن أن يكون هناك علم لدراسة

(1) ينظر: مصطفى تلوين، مدخل عام في الأنثربولوجيا، ص 120.

(2) ينظر: حسين فهميم، قصة الأنثربولوجيا، ص 15.

الإنسان بدون الدراسة التاريخية المقارنة للشعوب، وهكذا تجمع الإثنولوجيا بين الدراسة التاريخية والدراسة الميدانية للثقافات الجماهيرية والشعبية والقبلية وبين المقارنة الثقافية والتعميم بين الثقافات المتباينة.⁽¹⁾

ولهذا نرى بأن مصطلح الأنثربولوجيا يستخدم لنفس الغرض الذي يستخدم فيه مصطلح الإثنولوجيا، وهذا للتقارب الشديد بينهما.

(1) ينظر: شارلوت سيمون شميث، موسوعة علم الإنسان، المفاهيم والمصطلحات الأنثربولوجية، ترجمة: مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بإشراف محمد الجوهري، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، دط، 1998، ص 67.

المحاضرة الحادية عشر

الأنثربولوجيا والإثنولوجيا

(في التكوين والانتشار)

أولا - مجالات الإثنولوجيا.

1- إثنولوجيا التاريخ.

2- إثنولوجيا الفلاحة.

3- إثنولوجيا المدينة.

ثانيا - أهم المقاربات بين الأنثربولوجيا والإثنولوجيا.

أولاً- مجالات الإثنولوجيا:

بما أن للأنثربولوجيا فروع كثيرة فإن للأنثربولوجيا مجالات مختلفة أشهرها:

1- إثنولوجيا التاريخ:

هو فرع من الإثنولوجيا يبحث في إعادة تكوين المجتمعات التي انقرضت أو فقدت ثقافتها، وذلك من خلال أركيولوجيا ما قبل التاريخ أو الأرشيف أو الاستنتاجات المعتمدة على البراهين غير المباشرة مثل إثنولوجيا التاريخ لمجتمع الأنكا* ومجتمع الإنزتك*.

2- إثنولوجيا الفلاحة:

يهتم هذا الفرع بدراسة التجمعات الفلاحية أو الزراعية داخل المجتمعات الصناعية.

3- إثنولوجيا المدينة:

تهتم بدراسة الظواهر الاجتماعية بتجمعات ضيقة داخل المدينة مثل: بن ميزاب، مثلاً مدينة وهران أو القبائل⁽¹⁾.

ثانياً - أهم المقاربات بين الأنثربولوجيا والإثنولوجيا:

تكون الأنثربولوجيا مجموعة من العلاقات المنهجية والمعرفية مع علم الأجناس البشرية، أو ما يسمى بالإثنولوجيا إذ تجمعهما الكثير من النقاط المشتركة والمتشابهة، هذا من جهة ومن جهة أخرى هناك حاجة إلزامية وملحة من قبل الأنثربولوجيا للإثنولوجيا حتى تحقق الأنثربولوجيا أهدافها المتمثلة في النتائج والحقائق العلمية الدقيقة، والشيء نفسه ينطبق على الإثنولوجيا ومن هنا وجب أن نتساءل:

* الأنكا: قبائل الهنود الحمر في أمريكا اللاتينية وبالأخص في المكسيك.

* الإنزتك: قبائل الهنود الحمر في أمريكا الجنوبية.

(1) ينظر: مصطفى تلوين، مدخل عام في الأنثربولوجيا، ص 122، 121.

- ما علاقة الأنثربولوجيا بالإنثولوجيا؟

إن الإنثولوجيا في مجموعها "علم دراسة خصائص الشعوب اللغوية والثقافية والسلالية وتفسير توزيعها الجغرافي نتيجة الهجرات واتصال الشعوب بعضها ببعض، وكذلك تدرس الحياة أو الجوانب المادية من الحضارة، وأشكال الحياة الاقتصادية وتنظيم المجتمع وشكل الأسرة والتنظيم العشائري والقبلي ونظام الحكم والنظم القانونية والعقائد الدينية والفنون وغير ذلك من النشاط والسلوك الحضاري"⁽¹⁾.

أما الأنثربولوجيا وقد سبق التعرض لها في المحاضرات السابقة فهي تشكل في نهاية الأمر منهاجا يسعى إلى تجميع المعرفة بالإنسان من كافة الجوانب وذلك بهدف تقديم فهم متكامل ومتربط عن الإنسان ونتاجه الحضاري، في الماضي والحاضر ومن ثم تكون لها القدرة على استقراء أنماط الحياة المستقبلية، وإبراز الكيفية التي ينظم بها الأفراد والجماعات وسائل معيشتهم والمحافظة على بقائهم.⁽²⁾

فالإنثولوجيا لا تقف عند حدود الوصف والتصوير بل تسعى إلى تحليل القضايا والمظاهر الثقافية والاجتماعية والعقائدية قصد إبراز العناصر الأساسية والبحث في أصولها في الثقافة الواحدة والثقافات المختلفة وذلك وفق أطر المقارنة والتصنيف ضمن عائلات سلالية أو ثقافية أو اجتماعية أو دينية.

وهناك فريقا من الباحثين الاجتماعيين الذين ذهبوا مذاهب مختلفة حيث يعتبرون أن الانثولوجيا والأنثربولوجيا يشكلان وجهين لعلم واحد أو هما اسمان لعلم واحد اختلفت تسميته باختلاف المدارس الأنثربولوجية حيث ما اصطلحت على تسميته المدرسة الانكلوسكسونية بالأنثربولوجيا هو نفسه ما اصطلحت على تسميته المدرسة الفرنسية بالإنثولوجيا.

(1) سعيدي محمد، الأنثربولوجيا مفهومها وفروعها واتجاهاتها، ص 19

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص 19.

المحاضرة الثانية عشر

في الاتجاهات النظرية لتطور الإنسان في القرن العشرين

- تمهيد

أولاً- الاتجاهات النظرية لتطور الإنسان في القرن العشرين

1-الاتجاه الانتشاري التاريخي

أ- الاتجاه التاريخي / التجزيئي

ب- الاتجاه التاريخي / النفسي

2- الاتجاه البنائي الوظيفي

- تمهيد:

لقد رافق ظهور النظرية التطورية التي ظهرت في القرن التاسع عشر، انتقادات واسعة باعتبارها تستند إلى الحدس والتخمين، وتعميم الأحكام المطلقة على الثقافات الإنسانية، من دون أن تقديم البراهين العلمية الوافية والمقننة.

ولذلك، بدأت هذه النظرية بالضمور والتلاشي مع بداية القرن العشرين، لتحل محلها نظريات جديدة لدراسة الإنسان وثقافته، فقد ظهرت خلال القرن العشرين ثلاثة اتجاهات رئيسة متفاعلة فيما بينها، ركزت في دراساتها على تناول العلوم الاجتماعية، بأسسها ومنطلقاتها وأهدافها. ومن بين هذه الاتجاهات نذكر:

أولاً- الاتجاهات النظرية لتطور الإنسان في القرن العشرين:

1-الاتجاه الانتشاري التاريخي:

وينقسم بدوره إلى قسمين رئيسيين هما: الاتجاه التاريخي/التجزئي، والاتجاه التاريخي النفسي. وسنقدم فيما يلي توضيحاً لكلا هذين الاتجاهين:

أ- الاتجاه التاريخي/التجزئي: ساد الفكر التطوري للحضارات الإنسانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث بدأت تتبلور الدراسات الأنثروبولوجية وتظهر للوجود، وظهر إلى جانبه أيضاً الاتجاه الانتشاري الذي يعتمد على أنّ نشأة الحضارة الإنسانية كلّها ترجع إلى مجتمع واحد، ومنه انتشرت إلى أماكن أخرى في العالم.

ويقوم هذا الاتجاه على مبدأ هام، يرى أن النظم الاجتماعية كثيراً ما تستعار أو تنتقل من مكان إلى مكان آخر. وبناء على ذلك، فإنّ تشابه النظم الاجتماعية والعادات، في المجتمع الواحد أو في المجتمعات المختلفة، لا ينشأ على نحو تلقائي، وإنما ناتج عن التشابه في الإمكانات الاجتماعية والطبيعية والإنسانية.⁽¹⁾

(1) ينظر: عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، ص 63.

واعتمد هذا الاتجاه على مبدأين اثنين.

- المبدأ الأول:

يرى بأن عملية الاتصال بين الشعوب المختلفة، نتج بفعل الاحتكاك أو التمازج الثقافي والحضاري سواء أكان ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

- المبدأ الثاني:

فيرى بأن عملية انتشار بعض المكونات (الخصائص) الحضارية أو كلّها، من مصادرها الأصلية إلى المجتمعات الأخرى، سواء عن طريق الرحلات التجارية أو بالكشوف الجغرافية أو بالحروب والاستعمار. وهذان المبدآن متكاملان في دراسة الظواهر الثقافية، ويمكن من خلالهما تفسير التباين الحضاري بين الشعوب.

وقد اعتمد هذا الاتجاه منهجاً تاريخياً -جغرافياً، قاده الألماني "فريدريك راتزل" **Frederik Ratzeel** الذي ركّز على أهمية الاتصالات والعلاقات الثقافية بين الشعوب المختلفة، ودورها في نمو الحضارة الخاصة والعامة.

أ- **النظرية الأولى:** هي النظرية الانتشارية التي تعتمد الأصل المركزي الواحد للثقافة / الحضارة . سادت هذه النظرية في إنكلترا، وأرجعت نشأة الحضارة الإنسانية كلّها إلى مصدر واحد، ومنه انتشرت إلى المجتمعات الإنسانية الأخرى.

وكان من رواد هذه النظرية أو الاتجاه، عالم التشريح "إليوت سميث" **Ilyout Smith** وتلميذه "وليم بيرى" **willyam Berry** اللذان رأيا أنّ الحضارة الإنسانية، نشأت وازدهرت على ضفاف نهر النيل في مصر القديمة، منذ حوالي خمسة آلاف سنة ق.م.

ب- **النظرية الثانية:** هي النظرية الانتشارية التي تعتمد الأصل الثقافي/الحضاري، المتعدّد المراكز. وكان من قادة هذه النظرية، مجموعة من العلماء الألمان والنمساويين، وفي مقدمتهم "فريتز جراينور" **Fritz Jraynor** (1934) و"وليم شميدت" **chmidt**

يرجع أصل تسمية "الاتجاه الانتشاري" إلى طبيعة الموضوع الذي يشغله ومقاصده المعرفية والمنهجية والإيديولوجية التي يسعى إلى البلوغ إليها، فهو اتجاه أنثربولوجي يعنى بمتابعة الظواهر والنماذج الثقافية والاجتماعية التي ظهرت في منطقة جغرافية وثقافية واجتماعية معينة، ومن إبداع شعب بعينه ثم انتشرت وشاعت متعددة حدود فضاء نشأتها الأصلي وذلك نتيجة تفاعل عدد من الأسباب الدينية والاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية.

وبصفة عامة فإن الاتجاه الأنثربولوجي الانتشاري يتابع الانتشار الثقافي الذي يعني "انتقال نظام أو نموذج ثقافي من مجتمع لآخر، وذلك كأن يستعير مجتمع من مجتمع آخر بعض نماذجه الثقافية أو أدواته أو نظمته يستخدمها في حياته بطريقة تتلاءم مع ظروفه الاجتماعية وبيئته الطبيعية المحيطة، وقد يأخذ مجتمع ما بعض النماذج دون تحوير أو تغيير، أي يقوم باستخدامها كما هي" (2)

ومن هذا المنطلق اهتم الأنثربولوجيون الانتشاريون بمتابعة النماذج الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والدينية التي ثبت انتقالها من مجتمع إلى مجتمع آخر، ومن شعب إلى آخر، فاهتموا بدراساتها ومقارنتها.

إن النماذج الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والدينية الحية تنتقل من فضاء إلى فضاء آخر، من مجتمع إلى مجتمع آخر، ومن شعب إلى شعب آخر، فتخرج من فضاءها أو جوها الأصلي لتقتحم فضاءا جديدا، حيث تتفاعل وتتمازج عضويا وتوليديا، فتستقر وتمكث هناك،

(1) ينظر: عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثربولوجيا)، ص 65.

(2) محمد سعدي، الأنثربولوجيا مفهومها وفروعها واتجاهاتها، ص 68.

ومن هذا المنطلق فإن "المدرسة الانتشارية تنظر إلى الثقافة باعتبارها ظاهرة سائلة تنشأ في بيئة معينة ثم ما تلبث أن تتسرب وتنتشر من موطنها الأصلي إلى مواطن أخرى".⁽¹⁾

تعددت وتنوعت قنوات انتشار النماذج الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والدينية فمن عامل الجوار أي وجود مجتمعات متجاورة ومتقاربة نتج عنها عملية التأثير والتأثر ببعضها البعض، إلى عامل السياحة والهجرة حيث يسافر الأفراد إلى مناطق مختلفة محملين بنماذج ثقافية من ثقافتهم الأصلية كما يعودون إلى موطنهم الأصلي محملين بنماذج ثقافية من المجتمعات التي استقبلتهم وزائرين لها وهنا يحدث التمازج بين الثقافات المختلفة، إلى عامل الحروب والاستعمار وما يفرضه من نماذجها الثقافية على الشعوب التي يستعمرونها.

ب- الاتجاه التاريخي/النفسي:

تأثر الاتجاه التاريخي التجزيئي بعلم النفس، ولا سيما سيغموند فرويد **S/Fruid** وتلامذته، الذين رأوا أنه بالإمكان فهم الثقافة من خلال التاريخ، مع الاستعانة ببعض مفهومات علم النفس وطرائقه التحليلية. وهذا ما كان له أثر كبير في الاتجاه نحو الكشف عن الأنماط المختلفة للثقافات الإنسانية.

ويعد كتاب "أنماط الثقافة" للباحثة بيند كيت من أهم الكتب التي تبلورت من خلالها البداية الحقيقية للاتجاه التاريخي/النفسي في دراسة الثقافات الإنسانية، حيث قامت بإجراء دراسة مقارنة بين ثقافات بدائية متعددة في شعوب مختلفة، وخلصت إلى أن ثمة علاقات قائمة بين النموذج الثقافي العام ومظاهر الشخصية، وهذا ما ينعكس لدى الأفراد في تلك المجتمعات، يعني عملية التأثير والتأثر المتبادلان.

وضمن هذا الاتجاه أيضاً، اهتم "مالينوفسكي" **Malinoveski** بنظرية فرويد وكتاباته النفسية، من خلال المادة التي جمعها ميدانياً من سكان جزيرة (التروبرياند). إلا أنه

(1) المرجع السابق، ص 70.

عارض تفسير فرويد لعلاقة الابن بالأم وغيرته من الأب في إطار ما أسماه فرويد بـ (عقدة أوديب)، وقدّم بدلاً منها تفسيراً وظيفياً، توصّل من خلاله إلى أنّ تحريم العلاقات الجنسية المكوّنة للعائلة الموحّدة (النوعية) والتي تشمل "الأم والأبناء والأخوة والأخوات" هو الذي يمنع ما قد ينشأ من صراعات داخلية، بسبب الغيرة أو التنافس.⁽¹⁾

2- الاتجاه البنائي الوظيفي:

تزامن نشوء الاتجاه البنائي الوظيفي مع ظهور اتجاه الانتشار الثقافي، وكرّد فعل عنيف على النظرية أو الاتجاه التطوّري. وقد تميّز الاتجاه البنائي، بأنّه ليس تطوّرياً وليس تاريخياً، حيث ركّز على دراسة الثقافات الإنسانية كلّ على حدة، في واقعها الحالي المكاني والزمني.

وهذا ما جعله اتجاهاً مختلفاً عن الدراسات التاريخية، لأنّه اعتمد العلم في دراسة الثقافات الإنسانية كظاهرة، يجب البحث في عناصرها والكشف عن العلاقات القائمة فيما بينها، ومن ثمّ العلاقات القائمة فيما بينها وبين الظواهر الأخرى.

يرجع الفضل في تبلور أفكار الاتجاه البنائي/الوظيفي في الدراسات الأنثروبولوجية، إلى أفكار العالمين البريطانيين، "برونسلاف مالينوفسكي" Bronislev Malinoveski و"راد كليف براون" Rad Klif Brawen.

ولعلّ "كلود ليفي ستروس" Claude Levi Straus الوحيد بين البنائيين الفرنسيين، الذي يستخدم كلمة (بناء أو بنائية) صراحة في عناوين كتبه ومقالاته، ابتداءً من مقاله الذي كتبه عام 1945، عن "التحليل البنائي" في اللغويات وفي الأنثروبولوجيا، والذي يعتبر - بحق - "ميثاق" النزعة البنائية، وإلى كتاب "الأبنية الأولية للقرابة" الذي كان سبباً في ذيوع اسمه وشهرته، والذي يعتبره الكثيرون أهمّ وأفضل إنجاز في الأنثروبولوجيا الفرنسية على

(1) ينظر: عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، ص 76، 77.

الإطلاق .. ومن ثمّ إلى كتابه "الأنثروبولوجيا البنائية".⁽¹⁾

فالاهتمام بالبنية Structure، كنسق مترابط منظم وخفي للعناصر الثقافية، يساعد النموذج في تفسيره وراء العلاقات الاجتماعية، يوازيه في اتجاه آخر اهتمام وظائف بالمعنى الذي يحدده مالفينوفسكي.

ولذلك، سعى مالفينوفسكي إلى دراسة وظيفة كلّ عنصر ثقافي، عن طريق إعادة تكوين تاريخ نشأته أو كيفية انتشاره، وضمن علاقته مع العناصر الأخرى.

وانطلاقاً مما سبق "تعتبر الوظيفة أن كل مجتمع باعتباره نظام مؤسسات وممارسات لها دلالتها، قادر على الاستمرار رفي حركته وتحولاته والقيام بوظيفته رغم التغيرات الظاهرة داخليا وخارجيا على المستوى الشخصي وقادر على الممارسات غير المهمة، فالمجتمع ليس ركاما لا عضويا كما تصوره الفيكثوريون، بل هو نظام وظيفي من المؤسسات تلبي حاجات إنسانية أساسية، فالوظيفة الإنسانية والاجتماعية لهذه المؤسسات هي التي تعطيها شبه شرعيتها وديمومتها"⁽²⁾

أما براون اعتمد في دراسة المجتمع وتفسير الظواهر الاجتماعية تفسيراً اجتماعياً، بنائياً ووظيفياً، على فكرة الوظيفية التي نادى بها "دوركهايم" Dorkhaim والتي تقوم على دراسة المجتمعات الإنسانية، من خلال المطابقة (المماثلة) بين الحياة الاجتماعية والحياة العضوية.

واستناداً إلى ذلك، يصبح الاعتراف بالتنوع الثقافي بين المجتمعات - مهما كان شكله- إحدى الخطوات الهامة في تطوّر علم الأنثروبولوجيا، فالثقافة تعبير عن سلوكات ومعتقدات شعب ما.

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 78.

(2) محمد سعيدي، الأنثروبولوجيا مفهومها وفروعها واتجاهاتها، ص 72، 73.

المحاضرة الثالثة عشر

الأنثروبولوجيا الطبيعية

- تمهيد

أولاً- تعريف الأنثروبولوجيا العضوية (الطبيعية)

ثانياً- فروع الأنثروبولوجيا العضوية

1- فرع الحفريات البشرية (paleontology)

2- فرع الأجناس البشرية أو الأجسام البشرية (Somatology)

- تمهيد:

تعد الأنثروبولوجيا الطبيعية فرعاً مهماً من فروع الأنثروبولوجيا بصفة عامة، بحيث تشكل نسيجاً متكاملًا يختص بدراسة الإنسان من تطوره العضوي، وبخاصة من حيث نشأته، والسمات التي تميزه عن باقي المخلوقات، وانقسامه إلى عناصر، والصفات الخاصة بتلك العناصر.

أولاً- تعريف الأنثروبولوجيا العضوية (الطبيعية):

تعد الأنثروبولوجيا الطبيعية فرعاً مهماً من فروع الأنثروبولوجيا، بحيث ترتبط بالعلوم الطبيعية بخاصة علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء، وعلم الحياة، وينتمي هذا القسم إلى طائفة العلوم الطبيعية، وهو يدرس جسم الإنسان سواء من حيث صفاته ومقاييسه أو من حيث أصوله وأجداده، وأهم أهم تخصصاته علم العظام وعلم البناء الإنساني، ومقاييس جسم الإنسان ودراسة مقاييس الأجسام الحية وعلم الجراحة الإنساني، ويدرس هذا القسم كذلك في كليات الطب والعلوم ومعظم المتخصصين فيه من الأطباء وعلماء الحياة، ولكنه يدرس أيضاً في كليات العلوم الاجتماعية في أقسام الأنثروبولوجيا.⁽¹⁾

وتعرّف بوجه عام، بأنها العلم الذي "يبحث في شكل الإنسان من حيث سماته العضوية، والتغيرات التي تطرأ عليها بفعل المورثات. كما يبحث في السلالات الإنسانية، من حيث الأنواع البشرية وخصائصها، بمعزل عن ثقافة كلٍّ منها".⁽²⁾

وهذا يعني أنّ الأنثروبولوجيا العضوية، تتركز دراستها حول الإنسان الفرد بوصفه نتاجاً لعملية عضوية، ومن ثمّ تتحول الدراسة إلى التجمّعات البشرية السكانية، وتحليل خصائص التي تميزها.

(1) ينظر: عاطف وصفي ، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ص 13، 14.

(2) عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، ص 86.

كما أن الأنثروبولوجيا الطبيعية هي "دراسة الإنسان من حيث هو كائن فيزيقي طبيعي يتألف من أعضاء جسمية لكل منها وظائف فيسيولوجية، ودراسة تطوره العضوي عبر العصور ومختلف السمات الفيزيكية مثل حجم وشكل الأنف، ولون العينين وفصائل الدم وبصمات الأصابع وما إليها، كما تهتم أيضا بتصنيف وتوزيع هذه السمات لدى مختلف الشعوب والسلالات".⁽¹⁾

ولقد حققت الأنثروبولوجيا الطبيعية تقدما ملحوظا في الآونة الأخيرة بسبب اهتمام العلماء بإجراء سلسلة من الحفريات في مناطق متعددة من العالم القديم والحديث، وباستخدام كربون 14 المشع وأدوات أخرى أمكن الكشف عن التريخ التقريبي للأشكال المبكرة للإنسان وكيفية نشوئه وتطوره على مر السنين، وأسباب التنوع السلالي واختلاف السمات الطبيعية، وإلقاء الضوء عن العلاقة بين الإنسان الحديث وما سبقه من أشكال إنسانية ظهرت خلال حقبة وعصور تاريخية سابقة، كما تهتم الأنثروبولوجيا الطبيعية بدراسة التأثير المتبادل بين الإنسان والبيئة التي يعيش فيها وتأثير هذه العلاقة على تطور ونمو الإنسان وثقافته ومختلف سماته الفيزيكية.⁽²⁾

وتهتم الأنثروبولوجيا الطبيعية بمجالات ثلاثة هي:⁽³⁾

- **المجال الأول:** ويشمل إعادة بناء التاريخ التطوري للنوع الإنساني، ووصف (تفسير) التغيرات التي كانت السبب في انحراف النوع الإنساني، عن السلسلة التي كان يشترك بها مع صنف الحيوانات الرئيسة.
- **المجال الثاني:** يهتم بوصف (تفسير) التغيرات البيولوجية عند الأحياء من الجنس الإنساني. وتمتدّ هذه الأبحاث لتشمل: العلاقة الكامنة بين التركيب البيولوجي من

(1) فاروق عبد الجواد شويقة وآخرون، الموسوعة الإفريقية، المجلد الرابع الأنثروبولوجيا، جامعة القاهرة اليوبيل الذهبي لمعهد البحوث والدراسات الإفريقية، 1947/1997، ص 14.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص 14، 15.

(3) ينظر: عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، ص 86.

جهة، والثقافة والسلوك من جهة أخرى.

- **المجال الثالث:** وهو تخصص هام في علم الأنثروبولوجيا العضوية، ويبحث في

الرئيسيات: علاقاتها مع بيئاتها، تطورها، سلوكها الجماعي.

ومن هنا يستخدم مصطلح الأنثروبولوجيا الطبيعية (العضوية) للإشارة إلى ذلك العلم الذي

يهتم بدراسة الجانب العضوي (الحيوي) للإنسان، منذ نشأته كنوع حيواني على سطح

الأرض، منذ بداية نشوئه إلى غاية الوقت الحاضر الذي نعيش فيه.

إنّ الموضوع الأساسي في الأنثروبولوجيا العضوية (الفيزيائية) هو الاختلاف البيولوجي

الذي يطرأ على الكائن الإنساني في الزمان والمكان .. والشيء الذي ينتج غالبية هذه

الاختلافات، هو اتحاد المقومات الوراثية مع البيئة .. فتمّة تأثيرات بيئية لها صلة مباشرة

بهذا الموضوع، مثل: (الحرارة، البرودة، الرطوبة، أشعة الشمس، الارتفاع، والمرض ..).

وهذا التركيز على اختلاف الكائن الإنساني عن غيره من الرئيسيات، يضم خمسة تأثيرات

محدّدة تدخل في سياق الأنثروبولوجيا العضوية، وهي: (1)

- نشوء الكائن الشبيه بالإنسان، كما تمّ الكشف عنه من خلال التقارير التي

نجمت عن البحث في المستحاثات (الأنثروبولوجيا القديمة).

- التركيب الوراثي للإنسان.

- نموّ الإنسان وتطوره.

- المرونة (المطواعية) الموجودة في بيولوجيا الإنسان (قدرة الجسم على التكيف

مع ضغوطات، مثل: الحرارة، البرودة، درجة حرارة الشمس ..)

- التركيب البيولوجي وما يتبعه من عملية النشوء والسلوك والحياة الاجتماعية

للسعادين (القردة)، والحيوانات الأخرى من فصيلة الرئيسيات.

ولا بدّ من الإشارة هنا، إلى أنّ الألمان يعتبرون يوهان بلومينيخ المؤسس الأول

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 87.

للأنثروبولوجيا الطبيعيّة. فهو من الرّوّد في دراسة الجماجم البشريّة، كما أنّه قسّم الجنس البشري إلى خمسة أقسام (سلالات)، هي: القوقازي، المغولي، الأثيوبي، الأمريكي، والملاوي.

ثانياً - فروع الأنثروبولوجيا العضوية:

تقسم الأنثروبولوجيا العضوية بحسب طبيعة الدراسة، إلى فرعين أساسيين، هما:

1- فرع الحفريات البشريّة (paleontology)

وهو العلم الذي "يدرس الجنس البشري منذ نشأته، ومن ثمّ مراحلهِ الأولى وتطوّره، من خلال ما تدلّ عليه الحفريات والآثار المكتشفة. أي أنّه يتناول بالبحث نوعنا البشري واتجاهات تطوّره، ولا سيّما ما كان منها متّصلاً بالنواحي التي تكشفها الأحافير".⁽¹⁾

ومهمّة هذا النوع من العلوم، هي محاولة معرفة أو اكتشاف ما نجهله عن الإنسان البائد، وذلك من خلال الحفريات التي تكشف عن بقاياه وآثاره وما خلفه وراءه من أدوات، ومحاولة تحليل هذه المكتشفات من أجل معرفة الأسباب التي دعت إلى حدوث تغيّرات مرحلية في شكل الإنسان، الذي أصبح كما هو عليه الآن.

2- فرع الأجناس البشريّة أو الأجسام البشريّة (Somatology):

وهو العلم الذي "يدرس الصفات العضوية للإنسان البدائي (المنقرض) والإنسان الحالي، من حيث الملامح الأساسيّة والسمات العضوية العامّة".⁽²⁾

ولذا كرّس علماء الأجسام معظم جهودهم لدراسة الأصناف البشريّة ورصد الفروقات الموجودة بينها، مع الكشف عن أسباب هذه الفروقات.

ومن هذا المنطلق، فإنّ فرع الأجناس البشريّة، يقوم بدراسة التغيّرات البيولوجية التي تحصل بين مجموعات إنسانية في مناطق جغرافية متعدّدة ومختلفة، من منطلق تشريحي

(1) عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، ص 88.

(2) المرجع نفسه، ص 89.

ووراثي، وذلك بهدف إجراء مقارنة مع الهياكل العظمية للإنسان القديم، والموجودة في المقابر المكتشفة حديثاً.

ومن هنا أصبح هذا الفرع من فروع الأنثروبولوجيا جديراً باهتمام والدراسة من قبل الباحثين والدارسين قديماً وحديثاً.

المحاضرة الرابعة عشر

الأنثربولوجيا الاجتماعية

- تمهيد.

أولاً- مفهوم الأنثربولوجيا الاجتماعية.

ثانياً- نشأة الأنثربولوجيا الاجتماعية وتطورها.

1- القرن الثامن عشر.

2- القرن التاسع عشر.

3- القرن العشرون.

ثالثاً- أهداف الأنثربولوجيا الاجتماعية.

- تمهيد:

تعد الأنثربولوجيا الاجتماعية من أهم أنواع الأنثربولوجيا لأنها تهتم بالإنسان في وسطه الاجتماعي.

أولاً- مفهوم الأنثربولوجيا الاجتماعية:

تعرف الأنثربولوجيا الاجتماعية على أنها "دراسة مجموع البناء الاجتماعي، لأي جماعة أو مجتمع، بما يحويه هذا البناء من علاقات وجماعات وتنظيمات، ومن هنا تقترب العلاقة بين الأنثربولوجيا وعلم الاجتماع"⁽¹⁾.

فهي دراسة السلوك الاجتماعي الذي يتخذه في العادة شكل نظم اجتماعية كالعائلة، ونسق القرابة والتنظيم السياسي، والإجراءات القانونية والعبادات الدينية، كما تدرس العلاقة بين النظم.

يتضح لنا أن الأنثربولوجيا الاجتماعية تعنى بدراسة الإنسان في مجتمعه والعلاقات بين أفراد.

فالأنثربولوجيا الاجتماعية تدرس علاقاته وتنظيماته بينه وبين أقرانه في المجتمع.

وفي هذا يقول لوسي مير: "إن علم الاجتماع هو أقرب العلوم الاجتماعية إلى الأنثربولوجيا الاجتماعية، ولو أن الآراء تختلف وتتباين حول تكييف طبيعة هذه العلاقة فكل منهما يدعى لنفسه دراسة المجتمع كله"⁽²⁾.

كما تعرف الأنثربولوجيا الاجتماعية بأنها "دراسة السلوك الاجتماعي الذي يتخذ في العادة شكل نظم اجتماعية كالعائلة، ونسق القرابة والتنظيم السياسي، والإجراءات القانونية

(1) محمد الجوهري، علياء شكري، مقدمة في دراسة الأنثربولوجيا، القاهرة، دط، 2007، ص 29.

(2) محمد الجوهري، علياء شكري، الأنثربولوجيا الاجتماعية قضايا الموضوع والمنهج، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 2004م، ص 14.

والعبادات الدينية وغيرها كما تدرس العلاقة بين هذه النظم سواء في المجتمعات المعاصرة أو في المجتمعات التاريخية، التي يوجد لدينا عنها معلومات مناسبة من هذا النوع، يمكن معها القيام بمثل هذه الدراسات.⁽¹⁾

تدرس الأنثروبولوجية الاجتماعية السلوك الاجتماعي الذي يتخذ في العادة شكل نظم اجتماعية كالعائلة ونسق القرابة والتنظيم السياسي والإجراءات القانونية والعبادات الدينية وغيرها، كما تدرس العلاقة بين هذه النظم سواء في المجتمعات المعاصرة أو في المجتمعات التاريخية.⁽²⁾

وتهتم الأنثروبولوجيا الاجتماعية المعاصرة بتاريخ النظم الاجتماعية، لأن تاريخ النظام الاجتماعي لا يفسر طبيعته وإنما تفسر تلك الطبيعة عن طريق تحديد وظيفة النظام الاجتماعي الواحد في البناء الاجتماعي للمجتمع، كما تهتم الأنثروبولوجيا الاجتماعية بدراسة المجتمعات الصغيرة البسيطة التي يمكن فيها دراسة العلاقات المتبادلة بين النظم الاجتماعية جميعاً، لذلك بدأ العلم بدراسة المجتمعات شبه البدائية، صغيرة الحجم ذات النسيج الاجتماعي المتكامل، والمحدود والتي تمتاز ببساطة الفنون والآلية والاقتصاد وقلة التخصص في الوظيفة الاجتماعية إذا قورنت بالمجتمعات المتقدمة.⁽³⁾

كما تعني الأنثروبولوجيا الاجتماعية بدراسة الإنسان من حيث أبعاده الاجتماعية كذات اجتماعية فاعلة ومتفاعلة مع المجتمع بكل محطاته ومظاهره المادية والمعنوية. تهتم الأنثروبولوجيا الاجتماعية بصورة عامة بالأنظمة والعلاقات والبناءات والمؤسسات والأنشطة الاجتماعية سواء داخل المجتمع الواحد أم ضمن عدد المجتمعات المتشابهة أو التي

(1) ينظر: عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، ص 111.

(2) ينظر: إيفانز بريشارد، الأنثروبولوجيا الاجتماعية علم الإنسان الاجتماعي، ترجمة: أحمد أبو زيد، منشأة المعارف الإسكندرية، 1960، ص 23.

(3) ينظر: عاطف وصفي، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ص 17، 22.

خضعت لنفس المنطق الاجتماعي وذلك بغية تحديد ماهية البناءات الاجتماعية ومدى تأثيرها في النمط المعيشي للإنسان.⁽¹⁾

ثانياً - نشأة الأنثروبولوجيا الاجتماعية وتطورها:

يعدّ اهتمام الأنثروبولوجيا عامة، والأنثروبولوجيا الاجتماعية خاصة، بدراسة المجتمعات الإنسانية، وعلى المستويات الحضارية كافة، منطلقاً أساسياً من فلسفة علم الأنثروبولوجيا وأهدافها.

ويوصف علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية بأنّه علم حديث العهد، لا بل من أكثر العلوم الاجتماعية حداثة. فقد استخدم مصطلح (الأنثروبولوجيا الاجتماعية) للمرّة الأولى في عام 1980/ عندما كرّمت جامعة ليفربول في بريطانيا السيد جيمس فريزر ومنحته لقب الأستاذ. ومما يدلّ على حداثة هذا العلم الذي يدرس الجانب الطبيعي / التطبيقي، من البنى الاجتماعية، ذلك الاختلاف الذي ما يزال قائماً بين علماء الاجتماع حول هذه التسمية : (الأنثروبولوجيا الاجتماعية). ولكن على الرغم من حداثة هذا العلم، فقد مرّ بمراحل متعدّدة أسهمت في نشوئه وتطوّره واستكمال عناصره إلى حدّ بعيد، بدءاً من القرن الثامن عشر وحتى الوقت الحاضر.

1- القرن الثامن عشر:

تعدّ الدراسات التي أجريت في القرن الثامن عشر حول الأبنية الاجتماعية، وأنساق القيم السائدة فيها، من أهمّ الدراسات التي مهّدت لظهور الأنثروبولوجيا الاجتماعية. وكان في مقدّماتها كتاب "روح القوانين" الذي ألفه مونتسكيو عالم الاجتماع الفرنسي، والذي أكّد فيه أنّ المجتمع البشري وما يحيط به، يتكوّن من مجموع نظم مترابطة، بحيث لا يمكن فهم القوانين عند أيّ شعب من الشعوب، إلّا إذا درست العلاقات التي تحكم هذا النظام أو ذاك،

(1) ينظر: عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، ص 57.

بما فيها البيئة والحياة الاقتصادية، والسكان والمعتقدات والأخلاق السائدة، حيث ميّز الفيلسوف الفرنسي مونتسكيو بين البناء الاجتماعي والنظام القيمي، على الرغم من العلاقة بينهما. وأوضح أنّ المجتمع ذاته وما يحيط به، يتكوّن من نظم يرتبط بعضها ببعض ارتباطاً وظيفياً، وبالتالي لا يمكن فهم القانون العام لدى أي شعب من الشعوب، إلاّ إذا درسنا العلاقات بين هذه القوانين كلّها، ومن ثمّ دراسة علاقة تلك القوانين بالبيئة الطبيعيّة والحياة الاقتصادية، وعدد السكان والأعراف والتقاليد السائدة أو التي كانت سائدة.⁽¹⁾

ولكن سان سيمون عالم الاجتماع الفرنسي أيضاً، يعدّ أول من رأى ضرورة إنشاء علم للمجتمع، واقترح إنشاء علم وضعي للعلاقات الاجتماعية. واعتبر أنّ مهمّة علماء الاجتماع لا تقتصر على دراسة المفاهيم والتصورات الاجتماعية فحسب، وإنّما يجب أن تشمل تحليل الوقائع والحقائق التي تعزّزها.

هذا في فرنسا .. أمّا في إنكلترا، فقد ظهرت دراسات تمهيدية لعلم الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ولا سيّما أبحاث دافيد هيوم وآدم سميث حيث نُظر إلى كلّ مجتمع إنساني على أنّه نسق طبيعي ينشأ من الطبيعة البشرية، وليس عن طريق التعاقد. ولذلك انتشرت مفاهيم جديدة، مثل : الأخلاق الطبيعية والدين الطبيعي. واعتبر المجتمع (أي مجتمع إنساني) ظاهرة طبيعية، لا بدّ من استخدام المنهج التجريبي والاستقرائي، عند دراسته بدلاً من المناهج العقلية الفلسفية.⁽²⁾

وظهرت في هذه المرحلة التمهيدية بوادر الاهتمام بالمجتمع البدائي، اعتماداً على رحلات الاستكشاف للآثار والمتاحف والمصادر المختلفة. وقد نُظر إلى الإنسان البدائي على أنّه متوحّش في مجتمعه، وهمجي في سلوكاته .. يتناقض كليّة مع إنسان المجتمع المتمدّن والمتقدّم. وخير مثال على ذلك، ما كتبه جون لوك عن الهنود الحمر في أمريكا، حيث أصدر أحكاماً عامة وغير دقيقة، عن هذه الشعوب البدائية.

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 113.

(2) ينظر: عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، ، ص 114.

2- القرن التاسع عشر:

يعدّ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فترة نشوء الأنثروبولوجيا كعلم معترف به، وقد أسهم في ذلك صدور العديد من الدراسات والكتب التي بحثت في هذا العلم وحدّدت معالمه ومبادئه الأساسية.

ولم يكن رواد الأنثروبولوجيا الاجتماعية في القرن التاسع عشر، يستخدمون الدراسات الميدانية، بل اعتمدوا على أقوال الرحالة والمستكشفين ورجال الإدارة .. ولذلك، تعدّ هذه المرحلة فترة نشوء هذا العلم، وليست فترة كماله ونضجه، لأنّ الدراسات الميدانية/التطبيقية تعدّ من الركائز الأساسية لتكامل هذا العلم، بطبيعته ومنهجيته.

وقد تميّزت هذه المرحلة بظهور مدرستين متداخلتين، هما: النشئية والتطورية. ويعود تداخلهما إلى أنّ العالم الأنثروبولوجي، أو العالم الاجتماعي عندما يقوم بتفسير عملية التطور في أي نظام اجتماعي، من الماضي إلى الحاضر، لا بدّ أن يعتمد إلى تحديد نشأة هذا النظام، وذلك بالعودة إلى المجتمعات البدائية لدراستها واستخلاص صفاتها وعلاقاتها، باعتبارها تمثّل التاريخ المبكر للجنس البشري .

وقد تأثر رواد هذه المدرسة، وفي مقدّمتهم إدوارد تايلور بنظرية داروين، في تطوّر الحياة الطبيعيّة للكائنات البشرية، وتستند هذه النظرية إلى أنّ العناصر المركّبة في الحضارة الإنسانية، تتطوّر باستمرار من الأشياء البسيطة إلى الأشياء المعقّدة، وهذا ما ينسحب على تطوّر النظم الاجتماعية.

وقد انتشرت هذه الأفكار قبل ظهور كتاب داروين عن "أصل الأنواع" بسبعين سنة على الأقلّ. وكان كلّ ما فعله داروين، هو أنّه قام بتجميع تلك الأفكار والآراء المبعثرة والمتناثرة، وتحليلها بطريقة منهجية، فيها قدر كبير من محاولة الفهم والتعمّق. ومن هنا ساعد كتاب "أصل الأنواع" في توطيد فكرة التطوّر وترسيخها. ولكنّ الأهمّ من ذلك، هو أنّ الكتاب يقدّم نظرية متماسكة عن الطريقة التي حدث فيها التطوّر، ووضع في ذلك مبدأه الشهير عن "

الانتخاب الطبيعي " الذي فسّر به استمرار بعض الأنواع في الحياة ، واختفاء بعضها الآخر في معركتها الكبرى وصراعها من أجل الحياة.(1)

ولذلك ركّز العلماء التطوّريون، على موضوعات معيّنة: كالدين والعائلة، والنسب، واعتبروا أنّ الحضارات البدائية المعاصرة، تمثّل شواهد دالّة على مراحل التطوّر الاجتماعي التي مرّت بها الحضارة الحالية المتقدّمة .

وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر، استكمل الأنثروبولوجيون وضع العناصر الأساسيّة لعلم الأنثروبوجيا الاجتماعية، عندما قام بعضهم بتصنيف المجتمعات البشرية على أسس أبنيتها الاجتماعية، وليس على أسس ثقافتها فحسب. وهذا ما أدّى إلى تميّز الأنثروبولوجيا الاجتماعية عن الأنواع الأنثروبولوجية الأخرى، وأصبح موضوعها بالتالي، يختصّ بالعلاقات الاجتماعية وليس بالظواهر الثقافية.

واستناداً إلى ذلك، امتدّ منهج دراسة الأنثروبولوجيا إلى الدراسات الميدانية. واعتبرت الدراسة التي قام بها العالم الانكليزي هادون على منطقة مضائق (تورليس) مع بعثة علمية، نقطة تحوّل أساسية في تاريخ الأنثروبولوجيا الاجتماعية، حيث رسّخت أمرين أساسيين:

أولهما: النظر إلى الأنثروبولوجيا الاجتماعية، على أنّها علم يحتاج إلى تخصّص كامل.

وثانيهما: اعتماد الدراسة الميدانية منهجاً رئيسياً في هذا العلم.

3- القرن العشرون:

وصلت الأنثروبولوجيا مع بداية القرن العشرين إلى مرحلة التخصّص بدراسة البنى الاجتماعية للمجتمعات، ولا سيّما المجتمعات القديمة، حيث ازدادت الدراسات الميدانية، وفي مقدّمتها الدراسة التي قام بها الأنكليزي رادكليف براون على سكان خليج البنغال، والتي اعتبرت المحاولة الأولى لفحص النظريات الاجتماعية بالعودة إلى مجتمع بدائي. وكذلك

(1) ينظر: عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، ص115، 116.

دراسة مالمينوفسكي لسكان جزر (التروبوبرياند) لمدة أربع سنوات، واستخدم فيها لغة أهالي هذه الجزر. فكان بذلك أول أنثروبولوجي يتمكن من فهم حياة الناس وعلاقاتهم الاجتماعية، من خلال تتبع عاداتهم وتقاليدهم، وتحليل مدلولاتها الاجتماعية.⁽¹⁾

فخلال الربع الأول من هذا القرن، عكف الباحثون الأنثروبولوجيون على جمع الوثائق التي يحتاجون إليها من أجل إثبات ظاهرة الاقتباس بين الثقافات المختلفة. ويلاحظ أن العامل التاريخي، من وجهة نظر تاريخ الطريقة الأنثروبولوجية، احتل مكان الصدارة في دراسة المجتمعات، حتى في المحاولات المبذولة لإثبات ظاهرة الانتشار الثقافي، الناجمة عن الاحتكاك بين الشعوب. ويعود ذلك إلى أن هؤلاء الباحثين، كانوا يدركون جيداً أهمية البيانات التاريخية في فهم العوامل الثقافية الدينامية.

أمّا في الربع الثاني من القرن العشرين، فقد أصبحت للأنثروبولوجيا الاجتماعية فروع مستقلة تدرّس في الجامعات الأوروبية، ولا سيّما في الجامعات البريطانية .. وانتشر تطبيق منهج الدراسة الميدانية نتيجة لتأثير علم مالمينوفسكي الذي بدأ منذ عام 1924، بتدريب الأنثروبولوجيين على القيام بالدراسات الميدانية .

وتابعت الأنثروبولوجيا الاجتماعية دراساتها المتقدمة، في النصف الثاني من القرن العشرين، ممّا أدى إلى اتّساع هذه الدراسات وازدهارها.

ثالثاً - أهداف الأنثروبولوجيا الاجتماعية:

- تحديد نماذج عالية للأبنية الاجتماعية.
- تحديد مظاهر التداخل والترابط بين النظم الاجتماعية.
- تحديد عمليات التغيير الاجتماعي.

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 117.

خاتمة:

نصل في ختام هذه المقاربة البيداغوجية والتعليمية لموضوع الأنثربولوجيا من حيث تحديد مفهومها وفروعها، وأهم الاتجاهات النظرية والتطبيقية لهذا المصطلح العلمي، وكذا الوقوف عند علاقتها بالعلوم المعرفية الأخرى المتقاربة والمتجاورة معها من حيث الموضوع والمنهج الذي تسير عليه، فالدراسات الأنثربولوجية قد تكمل هذه الدراسات الاجتماعية والإنسانية.

تعد الأنثربولوجيا علم أصيل يضرب بجذوره إلى عصور قديمة، يعنى بدراسة الإنسان وأصوله طبيعيا واجتماعيا وثقافيا.

بحيث أضحت الأنثربولوجيا مادة معرفية خصبة باعتبار أن الإنسان هو مجال البحث في هذا النوع من المعرفة، وجوهر التداخل والقاسم المشترك بين مختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية، فقد حاولت الأنثربولوجيا إمطة اللثام عن العديد من الجوانب التي تخص الإنسان.

لقد جاءت الأنثربولوجيا للكشف عن الغموض الذي يكتنف الحياة الإنسانية، وتحاول الإجابة من الكثير من التساؤلات التي بقيت معلقة في ذهن الإنسان، فطبقت العديد من الدراسات التي كان الجانب الميداني سيد الموقف فيها، واستطاعت بالوصف والتحليل والتفسير والتأويل أن تنهض بالتنظير الأنثربولوجي.

وقد حاولنا من خلال هذه المحاضرات أن نلم ببعض خبايا هذا العلم لنعطي صورة أقرب وأوضح حول موضوعات هذا العلم لطلبتنا الأعزاء في التفتاة منا لعجلها آفاقا جديدا للطلاب للبحث والدراسة والتتقيب.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

1. أزهرى مصطفى صادق، الأنثربولوجيا الطبيعية والثقافية، (علم الإنسان الطبيعي والثقافي)، مجلة أثر، جامعة الملك سعود، كلية السياحة والآثار، عدد 1433.
2. إيفانز بريتشارد، الأنثربولوجيا الاجتماعية علم الإنسان الاجتماعي، ترجمة: أحمد أبو زيد، منشأة المعارف الإسكندرية، 1960.
3. إيكه هولتكراش، قاموس مصطلحات، ترجمة: محمد الجوهري وحسن الشامي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط2، دت.
4. بندكت روث، ألوان من ثقافات الشعوب، ترجمة: عمر الدسوقي وآخرون، القاهرة، دط، 1959.
5. بيرتي ج بيلتو، دراسة الأنثربولوجيا المفهوم والتاريخ، ترجمة: كاظم سعد الدين، عالم الحكمة، العراق، بغداد، ط1، 2010.
6. حسن شحاتة سعفران، علم الإنسان (الأنثربولوجيا)، منشورات مكتبة العرفان، بيروت، دط، 1966.
7. حسين فهميم، قصة الأنثربولوجيا، عالم المعرفة، الكويت، دط، دت.
8. الحسيني الحسيني معدى، الأساطير السومرية، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2012.
9. ساتس كيديا وجون فان ويلجن، الأنثربولوجيا التطبيقية، ترجمة: هناء خليف غني، دط، دت، ج3.
10. شارلوت سيمون شमित، موسوعة علم الإنسان، المفاهيم والمصطلحات الأنثربولوجية، ترجمة: مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بإشراف محمد الجوهري، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، دط، 1998.

11. طارق محمد السويديان، فضيل عمر باشراحيل، صناعة الثقافة، الإبداع الفكري، الكويت، ط3، 1432هـ/2010.
12. عاطف وصفي، الأنثربولوجيا الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت، ط3، 1981.
13. عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
14. عبد الكريم بكار، حول التربية والتعليم، دار القلم، دمشق، ط3، 1432/2011 هـ.
15. عبد الله العروي، مفهوم التاريخ (الألفاظ والمذاهب، المفاهيم والأصول)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2005.
16. عبد المجيد طعام، أسطورة الخلق سفر في الميثولوجيا، تعاونية زيري للطباعة والنشر، وجدة، دط، 2023.
17. عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثربولوجيا)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2004م.
18. فاروق عبد الجواد شويقة وآخرون، الموسوعة الإفريقية، المجلد الرابع الأنثربولوجيا، جامعة القاهرة اليوبيل الذهبي لمعهد البحوث والدراسات الإفريقية، 1947/1997.
19. فاروق مصطفى إسماعيل، الأنثربولوجيا الثقافية، الهيئة العامة المصرية للكتاب، مصر، دط، 1980.
20. فراس السواح، مغامرة العقل الأولى، دار الكلمة، لبنان، ط1، 1988.
21. كريستوف فولف، أنثربولوجيا التعليم، ترجمة: موفق علي السقار، دار المناهج للنشر والتوزيع، دط، دت.

22. مالك بن نبي، مشكلات الحضارة شروط النهضة، ترجمة: عمر كامل مسقاوي، عبد الصبور شاهين، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ط، 2012.
23. محمد الجوهري، علياء شكري، الأنثربولوجيا الاجتماعية قضايا الموضوع والمنهج، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د ط، 2004م.
24. محمد الجوهري، علياء شكري، مقدمة في دراسة الأنثربولوجيا، القاهرة، د ط، 2007.
25. محمد الجوهري، علياء شكري، مقدمة في دراسة الأنثربولوجيا، القاهرة، د ط، 2007.
26. محمد سعدي، الأنثربولوجيا مفهومها وفروعها واتجاهاتها، دار الخلدونية، د ط، 2013م.
27. مصطفى تلوين، مدخل عام في الأنثربولوجيا، منشورات الاختلاف، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2011.
28. هارلمبس وهولبورن، سوسيولوجيا الثقافة والهوية، ترجمة: حاتم حميد محسن، دار كيوان، دمشق، سوريا، ط1، 2010.
29. هندومة محمد أنور حامد، الأنثربولوجيا الفيزيقية، مكتبة طريق العلم، دار المعرفة الجامعية، مصر، د ط، 2011م.
30. يحي مرسى بدر، أصول علم الإنسان الأنثربولوجيا، دار الوفاء، ج1، ط1، 2007.

الفهرس

05.....	المحاضرة الأولى : علم الإنسان "الانثروبولوجيا"
22.....	المحاضرة الثانية أصل الإنسان فى ميثولوجيا الشعوب
30.....	المحاضرة الثالثة الإنسان فى ضوء العلم
34.....	المحاضرة الرابعة التطورية الثقافية-الاجتماعية للإنسان
39.....	المحاضرة الخامسة علم الإنسان "الانثروبولوجيا" تطوره وعلاقاته بالعلوم الأخرى
48.....	المحاضرة السادسة تاريخ الأنثروبولوجيا
58.....	المحاضرة السابعة علاقتها بعلم النفس
67.....	المحاضرة الثامنة علاقتها بعلوم التربية
72.....	المحاضرة التاسعة الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا
74.....	المحاضرة العاشرة فى التعاريف
78.....	المحاضرة الحادية عشر فى التكوين والانتشار
81.....	المحاضرة الثانية عشر فى الاتجاهات النظرية لتطور الإنسان فى القرن العشرين
88.....	المحاضرة الثالثة عشر الأنثروبولوجيا الطبيعية
94.....	المحاضرة الرابعة عشر الأنثروبولوجيا الاجتماعية
102.....	الخاتمة
103.....	قائمة المصادر و المراجع
106.....	الفهرس